

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique



المركز الجامعي لميلة

المرجع:

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

سيكولوجيا الشخصية في رواية
"أصابع الإتهام" لـ "جميلة زنير"

مذكرة معدة استكمالاً لمتطلبات نيل شهادة الماستر
الشعبة: أدب عربي التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ:
عبد الكريم طيبش

إعداد الطالب(ة):
* - فاطمة خويتر

السنة الجامعية: 2015/2014



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿ وَمَا تَوْفِیْقِیْ اِلَّا بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاِلَيْهِ اُنِیْبُ ﴾

الآیة 88 سورة هود

صَدَقَ اللّٰهُ الْعَظِیْمُ

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات...

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل

"عبد الكريم طيبش" الذي أحقق علي بكريم صبره وجميل

عونه وصدق نصحه وتصويبه لي...

والشكر موصول إلى أساتذتي الفاضلين من لجنة المناقشة الذين

وافقوا على قراءة هذا البحث وتقييمه... فللعلم أناس يقدرون معناه...

لذا وجب مني كل الشكر والتقدير.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر كل أساتذتي وإلى كل من تتلمذت على أيديهم...

إلى الذين قدّموا لي العلم عبر مراحل حياتي الدراسية...

فكانوا لي بنباح عطاء... إليهم جميعًا.

وإلى كل من قدّم لي مساعدة أثناء إنجازي لهذه المذكرة...

عظيم شكري وامتناني.

فاطمة

مقدمة:

عناصر المقدمة:

- 1- تمهيد بسيط عن سيكولوجيا الشخصية وعلاقته بالأدب.
- 2- أهمية الدراسة السيكولوجيا للرواية الجزائرية.
- 3- أسباب اختيار موضوع الدراسة والموسم بـ"سيكولوجيا الشخصية في رواية أطبع الإتهام".
- 4- أهم الإشكاليات التي حاولنا الإجابة عليها.
- 5- الأهداف التي تسعى إليها الدراسة السيكولوجيا.
- 6- المنهج الذي تم إتباعه لتحقيق هذه الدراسة المتواضعة.
- 7- أهم الخطوات التي تم التطرق إليها مع الشرح البسيط.
- 8- أهم المصادر التي تم الاعتماد عليها.
- 9- الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا.
- 10- تقديم الشكر والامتنان لكل من يستحق ذلك.

مقدمة:

إن الدراسة النفسية للنص الأدبي، والتي يُطلق عليها "سيكولوجيا الأدب"، والأدب كفن يشمل كل أنواع الإبداع، من شعر، و نثر، ومسرح، ورسم... وغيرها من الفنون، وكل هذا وذاك يحمل رسالة معينة، وتختلف هذه الرسالة من مبدع لآخر.

وينطلق هذا الإبداع من النفس الإنسانية، بكل ما تحمله من فرح وحزن، وعقد... وغيرها وتحاول الدراسة النفسية للأدب؛ الكشف عن أغوار النفس المبدعة، وذلك من خلال الإنتاج الإبداعي، وما يحمله بين طياته من إحياءات، ورموز مباشرة وغير مباشرة، ومن هنا تبلورت في ذهني "الدراسة السيكولوجيا للشخصية في رواية "أصابع الإتهام" للأديبة الجزائرية جميلة زنير.

وتعد هذه الرواية "أصابع الإتهام" من أهم الأعمال الأدبية، التي وُضعت للدراسة السيكولوجيا، والنفسية؛ لأنها تحمل الكثير الكثير من الحالات النفسية المختلفة والمتفاوتة من خلال تعبير هذه الشخصيات المختارة بعناية، والتي تكون- ربما- تعبر عن نفسية الكاتبة نفسها.

وتكمن أهمية هذا الموضوع، في تقصي الحالة النفسية التي آلت إليها المرأة الجزائرية بعد الاستقلال، لأن الروائية "جميلة زنير" من بين أدباء الجزائر في العصر الحديث، اللواتي تجرأن على التعبير عن ألام المرأة الجزائرية.

وقد عمدنا إلى اختيار رواية "أصابع الإتهام" إلى أسباب علمية، تمثلت في كشف أغوار هذه القضية، وإلى رغبتني في إثراء المكتبة الجامعية بهذا النوع من الدراسات، وإلى ميولي النفسي للرواية الجزائرية، ولأننا - ربما- وجدناها تمثل وتنقل للقارئ، ولو نظرة بسيطة عن تلك المعاناة.

وهذا البحث -المتواضع- يطرح كغيره من البحوث إشكالية يمكن محورتها في النقاط الآتية:

1- هل تمكنت "جميلة زنير" من نقل تعقيدات الحالة الشعورية للمرأة الجزائرية، لفترة تعد من أهم الفترات التي عاشها المجتمع الجزائري عموما، والمرأة خصوصا وهي فترة بعيد الاستقلال؟

2- ما أهم الحالات النفسية التي وصلت إليها البطلة في الرواية؛ التي تمثل شريحة اجتماعية مظلومة سواء قبل الاستقلال أو بعده؟

ولم نجد دراسة سابقة تخص رواية "أصابع الإتهام"، و تساعدنا علي الأخذ في غمار هذا الموضوع.

ويهدف هذا البحث إلى كشف اللثام عن حقيقة معاناة المرأة الجزائرية، والتي كانت في المجتمع الجزائري هي المناضلة، والمجاهدة، والأم، والأخت...، وضمن هذه الرؤية المجتمعية، يبقى وضع المرأة في الجزائر أسير التناقضات؛ فهي من جهة مناضلة ورائدة إبان الثورة التحريرية، وحتى العشرية السوداء في التسعينيات، ومن جهة أخرى سلبية راضية بوضعها الاجتماعي، والأعراف والتقاليد، ومن هنا جاء التعبير عن ذاتها في الرواية، وفي القصة، وفي حقول إبداعية أخرى.

وقد اتبعنا في هذه الدراسة المتواضعة، المنهج التحليلي النفسي، الذي ساعدنا في إعطاء تفسيرات تقرب ربما وجهتا النظر، خاصة حينما يتعلق الأمر بدراسة شخصيات الرواية.

وقد بُني هذا البحث على مقدمة، ومدخل، وفصلين، وخاتمة.

تناولنا في المدخل إرهاصات الدراسة السيكولوجيا للأدب، وذلك من خلال التطرق إلى عناصر مثل: مفهوم علم النفس، ومفهوم الأدب، والعلاقة بينهما، والعلاقة الموجودة بين التحليل النفسي والأدب، كما تطرقنا إلى أهم الدراسات السيكولوجيا عند الغرب وعند العرب (قديمًا وحديثًا).

وخصصنا الفصل الأول لضبط أهم المفاهيم، ثم انطلقنا إلي مفاهيم أخرى ك: مفهوم الرواية لغة واصطلاحًا، ونشأة الرواية العربية، والجزائرية وعوامل تطورها.

ثم انتقلنا إلى تعريف الشخصية (لغة واصطلاحًا ومن وجهة علماء النفس) ومفهوم الشخصية الروائية، وما تمثله بالنسبة للعمل الأدبي، وخاصة الرواية، وأهمية دراسة البعد النفسي للشخصية الروائية، وما تستطيع هذه الدراسة الكشف عنه.

دون أن ننسى التعريف بالروائية "جميلة زنير" وآراء بعض النقاد فيها. وتعرضنا في الفصل الثاني، للدراسة النفسية لشخصيات رواية "أصابع الإتهام" بدءًا بملخص للرواية من أجل معرفة أهم أحداث الرواية.

ثم تناولنا في الفصل نفسه، العمل السردى لرواية (أصابع الإتهام) دراسة وتحليلاً، وفقاً لمعطيات المنهج النفسى، لتتبيّن بعض الجوانب النفسى العميقة، ونسبر دلالتها المختلفة انطلاقاً من الشعور بالحزن ومرارة اليتيم، والشعور بالدونية والعار، وصولاً إلى الرفض الأسرى والاجتماعى؛ التى أصبحت تُحسّ بها المرأة الجزائرية في ظل الحرية والاستقلال.

وفي المقطع الأخير من هذا الفصل، تحدثنا عن المونولوج الداخلى (المباشر وغير المباشر)، ومناجاة النفس (أهم الأبعاد النفسى لشخصيات الرواية). واشتملت الخاتمة في النهاية، على أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

أما عن المصادر والمراجع التى اعتمدها في هذه الدراسة المتواضعة، فهي كثيرة أهمها:

- 1- التفسير النفسى للأدب "عز الدين إسماعيل"، دار العودة، لبنان، 1981م.
- 2- من الوجهة النفسى في دراسة الأدب ونقده "محمد خلف الله أحمد"، دار الكتب، مصر 1970م.

3- المرأة في الرواية الجزائرية "مفقودة صالح"، دار الشروق للطباعة، الجزائر، 2009م. وقد صادفتنا صعوبات عرقلت عملية البحث، منها قلة الدراسات التى تتحدث عن رواية أصابع الإتهام، بالإضافة إلى عامل الزمن؛ إذ شكّل ضيقاً في الوقت الممنوح لنا. وفي الأخير حق علي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي: "عبد الكريم طبيش" الذي شجّعني وقدم لي العون، والنصح، والإرشاد خلال هذه الدراسة، كما ساهمت نصائحه في إثراء هذا البحث وإنجازه.

كما أقدم شكري وامتناني لمعهد الآداب واللغات وقسمه - قسم الأدب واللغة العربية- بالمركز الجامعي -عبد الحفيظ بوالصوف- الذي فتح لنا مجال البحث، وسخر لنا كل هياكله من أجل تسهيل عملية البحث.

وحسبي في هذا الموضوع أنني اجتهدت، فإن أصبت فهذا من فضل الله عزوجل، وإن أخطأت فمن نفسي.

والله الموفق

مدخل:

إرهاصات الدراسة السيكولوجيا للأدب

أولاً: سيكولوجيا الأدب وعلم النفس والعلاقة بينهما

- 1- تمهيد
- 2- تعريف علم النفس
- 3- تعريف الأدب
- 4- العلاقة بين علم النفس والأدب
- 5- العلاقة بين التحليل النفسي والأدب

ثانياً: الدراسات السيكولوجيا

- 1- تحديد مصطلح سيكولوجيا
- 2- أهم الدراسات السيكولوجيا عند العرب
 - أ- قديما
 - ب- حديثا
- 3- أهم الدراسات السيكولوجيا عند الغرب

ثالثاً: استنتاج

أولاً: سيكولوجيا الأدب وعلم النفس والعلاقة بينهما

1- تمهيد

تعدّ القراءة النفسية واحدة من القرارات النقدية التي استهدفت النصّ الأدبي، انطلاقاً من الجهود النقدية التي قدمها الباحثون أثناء تفسير النصّ وتحليله، وكل هذا انطلاقاً من العلاقة الوطيدة بين عنصرين هما: الإبداع الأدبي وعلم النفس.

لقد كثرت النظريات النقدية التي تدرس النصّ الأدبي من داخله و تعالجه، وذلك لما يحمله هذا النصّ من إشارات ودلالات متعددة، لذلك ظهر في العصر الحديث ما يسمى بـ"علم النفس" الذي يعدّ ميداناً خصباً للدراسات النفسية، والتي بدورها تهتم بالذات والمجتمع والثقافة والسياسة والأدب والفن.

وفي ميدان دراسة سيكولوجيا الأدب ومختلف نظرياته، ومن أجل القيام بذلك يستحسن بنا شرح دعامتين أساسيتين هما:

"علم النفس" و"الأدب"، والعلاقة الموجودة بينهما، وكيف انطلقت هذه الدراسات السيكولوجية وغيرها؟

2- تعريف علم النفس

يدرس علم النفس الإنسان من حيث هو كائن حي، له نشاطاته الداخلية والخارجية المتفاعلة مع مختلف ظواهر حياته الإنسانية. وتتمثل نشاطاته الإنفعالية حين يرضى أو يغضب، ويحب أو يكره، ويأمن ويخاف، ويتسامح أو يحقد.

فمجال دراسة علم النفس هو دراسة السلوك الإنساني بمعناه الواسع داخليا وخارجيا، كما أشارت إلي ذلك القواميس الفلسفية، و منها هذا: « علم يدرس الظواهر السيكولوجية أو وقائع (الأنا) والقوانين التي تحكمها ويخضع للملاحظة الداخلية والخارجية ويسمى علم النفس التجريبي »¹. وهذا يعتبر مفهوماً عاماً لعلم النفس، وأهم نقطة فيه هي الظواهر السيكولوجية التي سنتطرق إلى تعريفها لاحقاً.

¹ - إبراهيم، مذكور: المعجم الفلسفي، المطابع الأميرية، مصر، 1983م، ص126.

في مجال علم النفس، وفي العصر الحديث، وجدنا "صبري يوسف" يرى علم النفس: « واحدة فسيحة مفتوحة تشمل كل مناحي الإبداع خاصة الأدب بكل تفرعاته وتعليقاته، لأن المبدع هو مرآة عاكسة لأدق خصوصياته، وطاقاته النفسية والحياتية، فهو يحكي نصّه بما يختلج في ذهنه، من آهات، وآلام، وأحزان، وأفراح، وحالات نفسية لا حصر لها»¹.

فكل شيء ينطلق من النفس الإنسانية، سواء كانت النفس المبدعة أو غيرها، وبالتالي فعلم النفس علم كبير متفرع مفتوح على جميع جوانب الحياة، وخاصة الأدب؛ لأن الأديب يعتبر مرآة عاكسة لما تحمله هذه النفس.

كما أننا وجدنا أيضا الكثير من التعاريف التي تصبّ في هذه المعاني نفسها، والتي ترى بأن علم النفس يحاول دائما الكشف عن الجوانب المضمرّة في مختلف محتوى الأعمال الأدبية، وذلك عن طريق نظريات التحليل النفسي فهو: « علم له أساليبه المختلفة وكل ما يصدر عن الفرد هو انعكاس لما يشعر به ويدور في نفسه ولذلك يحاول أن يربط بين محتوى الأعمال الأدبية والجوانب النفسية الخاصة بها من خلال المفاهيم المختلفة لنظريات التحليل النفسي، لأن مثل هذه المفاهيم هي عبارة عن منارات على طريق الدراسات الأدبية من مفهوم نفسي»².

3- تعريف الأدب

تطوّر مفهوم كلمة "أدب" بتطور الحياة العربية من الجاهلية حتى أيامنا هذه، عبر العصور الأدبية المتعاقبة، إذ لم يعرف لفظ الأدب بدلالاته الفنية في العصر الجاهلي، وإنما كان له دلالتان: « الأولى الدعوة إلى الطعام، وقد وردت في الشعر الجاهلي بهذه الدلالة ومن ذلك قول الشاعر:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُوا لِحَفَلَى * لَا تَرَى الْأَدَبَ فِينَا يَنْتَقِرُ»³

¹ - صبري، يوسف: سيكولوجيا الأدب (الماهية والواقع)، عن سعاد جبر سعيد، سيكولوجيا الأدب الماهية والاتجاهات ط01، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2008م، ص16.

² - المرجع نفسه، ص29.

³ - مصطفى، صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ط01، دار الكتب العلمية، لبنان، 2000م، ص23.

والدلالة الثانية: « المعنى التهذيبي الخلقى، وهو رياضة النفس بالتعليم، وتمربنها على حسن الخلق، والسجايا الفاضلة، ومن ذلك قول الشاعر:

وَأِنْ أَمَّتْ، وَالْفَتَى رُهْنٌ بِمَصْرَعِهِ * فَقَدْ قَضِيَتْ مِنَ الْآدَابِ آرَابًا¹

فلما جاء الإسلام احتفظ لفظ "أدب" بهاتين الداليتين، على أنه لم يرد في القرآن الكريم بل أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: « أدبني ربي فأحسن تأديبي »، ومن هذا يمكن القول بأن كلمة "أدب" تتطور باستمرار².

غير أن جميع المعاني السابقة لا تعدو أن تكون معاني بسيطة للأدب، ربّما هي أقرب إلى الدلالة اللغوية، حيث عمّق الدارسون البحث في معنى الأدب، في ظل تطور الفكر الإنساني الحديث، لنجد أنفسنا أمام تعريفات عدة، كلاً منها ينطلق من زاوية معينة في فهم الأدب ويسعى نحو غاية محددة، فالأدب: « نشاط إنساني نوعي، له حقيقة من حيث عملية الإبداع، وله آثاره من حيث وظيفته الاجتماعية »³.

وقد تباينت الآراء في معنى الأدب واختلفت، وكل منها اتخذت وجهة نظر دون الأخرى فهناك من تحدث عن الأدب، ونشأته فجعله نفسياً وعاطفياً، والآخر ربطه بالعامل الخارجي من دين وعلم، ومجتمع وغيرها، وآخرون توجّهوا إلى مواصفاته الجمالية، والفنية وحاولوا معرفة الهدف منها.

فالأدب كغيره من العلوم لم ينطلق من فراغ، بل اعتمد على علوم معينة من جهة، وعلى ثقافة متينة عميقة من جهة أخرى.

وعليه فكلمة "أدب" هي: « كل ما كتب في موضوع ما، أيًا كان على حد تعبير قاموس "أوكسفورد" الانجليزي والقاموس الفرنسي "لاروس" الكبير »⁴. كما تدلّ على معنى خاص هو:

¹ - مصطفى، صادق الرافي: تاريخ آداب العرب، مرجع سابق، ص24.

² - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - عبد المنعم، تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، ط2، دار العودة، لبنان، ص ص 10-11.

⁴ - يوسف، ميخائيل أسعد: سيكولوجيا الإبداع في الفن والأدب، دار الكتب، مصر، 1986م، ص26.

« الإبداع الكلامي الذي لا يمكن درجه في نطاق علم من العلوم أو في نطاق الفلسفة. وبهذا نحفظ للأدب قوامه حتى لا يذوب في خضم المعارف الإنسانية المتباينة »¹.

وهذا الأديب "طه حسين" يبدي رأيه في العمل الأدبي، الذي لا حدود، ولا قواعد له وحتى مزاج الأديب وفنّه، اللذان يفرضان على الأديب نوعية هذا العمل الأدبي: « إنّما الأثر الأدبي عندي، هو هذا الذي ينتجه الكاتب والشاعر كما استطاع أن ينتجه، لا يعرف له قواعد ولا حدود، إلاّ هذه القواعد والحدود التي يفرضها على الأديب مزاجه الخاص وفنّه الخاص »².

4- العلاقة بين علم النفس والأدب

بعد التعرف عن مصطلحي علم النفس والأدب، لابدّ من التطرق إلى العلاقة بينهما والتي لم تتطرق من فراغ. فبنتوع النصوص الأدبية تتنوع وتتجدد الأساليب، أو بالأحرى المناهج المستعملة في دراسة هذه النصوص.

فالعلاقة بين الأدب، وعلم النفس لا تحتاج إلى إثبات، بل إلى مجرد شرح، ومعرفة أيهما يستند إلى الآخر، ويستمدّ منه، وعليه فهذا "عز الدين إسماعيل" يرى بأن مادة الأدب هي النفس، والأمر نفسه بالنسبة للأدب، فالنفس تعمل على جمع أطراف الحياة، والأدب يعمل على سرد وتدوين هذه الحقائق.

فهناك نفس تتكئ على الحياة لتصنع الأدب، وهناك من يلجأ لهذا الأدب ليصنع الحياة وكناتهما متساويتان وعليه فإن: « النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس. النفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب. والنفس التي تتلقى الحياة الأدب هي النفس التي تتلقى الأدب لتصنع الحياة »³.

والحديث عن هذه العلاقة، لم يكن بالشيء الجديد، على الرغم من أن العلم والفن كانا دائماً طريقتين مستقلتين، ولكن لا بد للعلم أن يحتك بتلك المنتجات التي يخرجها العقل الإنساني

¹ - يوسف، ميخائيل أسعد: سيكولوجيا الإبداع في الفن والأدب، مرجع سابق، ص26.

² - طه، حسين: فصول في الأدب والنقد، ط4، دار المعارف، مصر، 1966م، ص5.

³ - عز الدين، إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب، مصر، 1980م، ص5.

فعلم النفس يستطيع أن يمدنا ببعض الشروح المتعلقة بالكاتب أو الشاعر ونصه: « ... لأنني تأكدت أن علم النفس... - ولا سيما طريق التحليل النفسي - يستطيع أن يمدنا دائماً بشروح لكثير من المعضلات المرتبطة بشخصية الشاعر، وفن الشعر، وتذوق القصيدة»¹.

وإذا أردنا معرفة حقيقة هذه العلاقة،- لأنها كانت قائمة منذ أن عرف الإنسان وسيلة التعبير عن نفسه،- فنجد الكثير من الباحثين تحدّثوا عنها، وقد اعتبروا "أرسطو" « أول معلم حقيقي من معالم الطريق إلى شرح العلاقة بين الأدب والنفس، على أساس من المعرفة شبه العلمية»². وكان هذا حينما تقدم بمفهوم التطهير، في حديثه عن أثر المأساة في الجمهور.

كانت هذه العلاقة - علم النفس والأدب- محاولة إلى شرح، وتفسير العمل الأدبي من وجهة نفسية، فقد اعتبر بعض الباحثين، أنّ الدراسات التي تدرس النص الأدبي، من حيث أنه مجرد لغة، وألفاظ، وعبارات، وكلمات مرتبطة فيما بينها تعطي معنى معيناً، وتعمل على دراستها من حيث صحتها - نحو بلاغة وعروض...- هو مجرد بحث جاف، على عكس الدراسة النفسية التي تحاول البحث في معنى هذه العبارات وإدراكها.

فهي تعتبر: « أول محاولة لتجنب العبارات الفضفاضة في شرح هذه العلاقة، والانتقال من مجرد الإحساس المبهم إلى الإدراك»³. فالأدب يعتبر من أروع ما تنتج النفس الإنسانية أليس وليد الشخصية الإنسانية؟ أليس المعبر عما تتطوي عليه النفس من شعور وإحساس؟ ومن هنا نستطيع القول، إن علم النفس هو الأولى لدراسة هذا الأدب والبحث في خفاياه.

5-العلاقة بين التحليل النفسي والأدب

إن العلاقة بين التحليل النفسي، والأدب علاقة عضوية، باعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن اللاوعي، وأن الأدب يكشف عن المكونات النفسية، وكلاهما يستفيد من الآخر.

¹ - محمد، خلف الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، ط02، دار الكتب، مصر، 1970م، ص30.

² - عز الدين، إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، المرجع السابق، ص5.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومما لا شك فيه أن الأهم في تلك العلاقة، هي الصلات الخفية بين الدوافع اللاشعورية واللغة، ولهذا غدت المقولات النفسية التي طرحها "فرويد" أساساً للتحليل النفسي، و"فرويد" يرى بأن الرغبات المكبوتة أساسية في تكوين شخصية الأديب، وحاول "فرويد" الكشف عن شخصية المؤلف، وقد مثل ذلك في ثلاثة أعمال أدبية هي: "الملك أوديب" لـ "سوفو كليس" و"هاملت" لـ "شكسبير" و"الأخوة كارامازوف" لـ "دوستوفسكي"¹.

وقد أسهمت العلوم النفسية في تفعيل دراسة الأدب وتحليله، وهي - بدورها - إضافات مهمة على صعيد تتبع صيرورة النقد النفسي، ومن أبرزها: علم النفس العام، وعلم النفس الأدبي، وعلم نفس الأديب، وعلم نفس الإبداع، وعلم نفس اللغة، وغير ذلك.

كان الاحتكاك بين علم النفس والأدب طبيعياً، لأن هذا الأدب ينطلق من النفس، وعند إنتاج أي عمل أدبي، لا بد أن يعود إلى النفس: « كما كان طبيعياً أن يحتك الأدب ودراسات الجمال والواقع، وأن هذين النوعين من الدراسة (النفس والجمال) أصيلان في طبيعة الأدب »².

يشكل علم النفس الأدب مجالاً خصباً جداً، فهذا "صبري يوسف" يقول: « إن لعلم نفس الأدب مجالاً خصباً جداً، لأن الأدب له من العناقات، والتداخلات النفسية في بواطن النفس الإنسانية، ربما أكثر بكثير من العوالم الإبداعية الأخرى »³.

فما يصدر عن الأدباء من كتابات، سواء كانت نثرية أو شعرية، هي عبارة عن انعكاسات لكل ما يُختلج في نفوسهم، من مشاعر، وأحاسيس، ولا يستطيع الناقد، والباحث الوصول إليها، إلا من خلال دراستها وتحليلها « يمكن من خلال دراسة وتحليل ما يصدر عن الأدباء من كتابات نثرية، أو شعرية، الوصول إلى أعماق نفوسهم، والوقوف على الأشياء التي يفكرون بها، وتستحوذ على اهتمامهم »⁴.

* سيغmond فرويد: أسس التحليل النفسي في النقد و الأدب، وتطورت نظرياته على يد تلامذته، وغيرهم.

¹ - ينظر: كارل، إبراهيم: التحليل النفسي والثقافة، ترجمة: وجيه أسعد، وزارة الثقافة، سوريا، 1998م، ص 200.

² - محمد، خلف الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مرجع سابق، ص 21.

³ - صبري، يوسف: سيكولوجيا الأدب (الماهية والواقع)، عن سعاد جبر سعيد: سيكولوجيا الأدب الماهية والاتجاهات

مرجع سابق، ص 16.

⁴ - المرجع نفسه، ص 18.

والتحليل النفسي، ساعد كثيرا في الغوص على المعاني العديدة من الإبداعات الأدبية والفنية، وعلم النفس، والأدب يتناولان الموضوعات نفسها، تلك الموضوعات التي تضم الأفكار والخيالات، والمشاعر، والعواطف، وما إلى ذلك، ونجد أن هناك قرابة وثيقة بين التحليل النفسي والأدب، في سعيهما المشترك وراء الحقيقة، وفي اهتمامهما بالدوافع الإنسانية.

نستخلص أن علاقة الأدب بالتحليل النفسي، كانت ولا تزال علاقة سلم وتعايش، بل علاقة تكامل، من حيث الكشف عن أغوار النفس المبدعة التي يبثها الفنان في كتاباته.

ثانيا: الدراسات السيكولوجيا

1- تحديد مصطلح "سيكولوجيا"

بعد البحث والتقصي عن مصطلح "سيكولوجيا"، وجدناه في المعجم أنها: « معرفة مباشرة للأشياء عن طريق الحواس »¹. والسيكولوجيا تعتمد اعتمادا كبيرا على الحواس، التي تقودنا بدورها إلى الوصول للحقيقة، ومعرفة الأشياء.

والسيكولوجيا هي: « نظرية نفسية... وقد ظفرت هذه النظرية بمكان ملحوظ في علم النفس في آخريات القرن الماضي وأوائل هذا القرن... »². واعتبرت نظرية نفسية لأنها تدرس النفس الإنسانية، وما تحويه من مشاعر، وحواس، وغيرها، وعليه فالبحث السيكولوجي يعمل على « دراسة الظواهر النفسية والقوانين التي تحكمها »³.

وقد حرص علماء النفس أن يستفاد منه في دراسة الأدب، وبهذا يمكن أن نتنظر من البحث السيكولوجي، أن يشرح لنا العوامل التي تجعل من الشخص مبدعا فنيا، وقد فتح - البحث السيكولوجي - النوافذ لدراسة العديد من الموضوعات، مما أسهم في تفعيل منطلقات القراءة السيكولوجية.

2- أهم الدراسات السيكولوجيا عند العرب

أخذ هذا الاتجاه النفساني - القراءة السيكولوجية للنص - من طرف الأدباء الكثير من الاهتمام، ولم يكن هذا الاهتمام بالشيء الجديد.

¹ - إبراهيم، مذكور: المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 6.

² - المرجع نفسه، ص 8.

³ - المرجع نفسه، ص 99.

أ- قديما

- 1- دراسة "ابن قتيبة" التي تحاول من خلالها معرفة بعض النواحي الفنية، والنفسانية من نتاج الشعر، فذكر أن للشعر دواعي تحت البطيء، وتبعث المتكلف (الشراب، الطرب الطمع، الغضب، الشوق...) كحديثه عن "نو الرمة": « أحسن الناس تشبيها، وأجودهم تشبيها وأوصفهم لرملة وهاجرة... فإذا صار إلى المديح والهجاء فإنه الطبع »¹.
- 2- وكذلك فعل "القاضي أبو الحسن الجرجاني" فبحث سيكولوجية أهل النقص، وحلل الملكة الشعرية، وفسر اختلاف أحوال الشعر من شاعر لآخر.

ب- حديثا

وبعد ذكر الدراسات السيكولوجيا القديمة، لا بد أن نحدد ترسيمة الدراسات النفسية الحديثة، في النقد الأدبي العربي الحديث، وأثناء البحث وجدنا بعضا منها، وحاولنا بذلك ذكر أهمها وعليه نجد:

- 1- دراسات الشخصيات الأدبية ومنها: الشخصيات التراثية (كدراسات "المازني" و"العقاد" و"النويهي" و"عز الدين إسماعيل").
- وإذا أردنا الحديث عن "العقاد" على سبيل المثال، فنجد شديدا الإيمان بالاتجاه النفسي في النقد، ففي مقال له بعنوان « النقد السيكولوجي » (صحيفة الأخبار 1969/04/05م) كتب يقول: « إذا لم يكن بدّ من تفضيل إحدى مدارس النقد على سائر مدارس الجامعة فمدرسة (النقد السيكولوجي) أو النفساني أحقها جميعا في رأيي، وفي ذوقي؛ لأنها المدرسة التي نستغني بها عن غيرها، ولا نفقد شيئا من جوهر الفن أو الفنان المنقود »².
- 2- دراسة سيكولوجيا الإبداع الأدبي في الشعر، والرواية، والقصة، والمسرح، كما في بحوث ("مصطفى سويف"، "حامد عبد القادر"، "سامي الدروبي"، وغيرهم)³.

¹ محمد، خلف الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مرجع سابق، ص 35.

* أهل النقص: هم الأشخاص الذين يحسدون الناس الأفاضل والأماثل (الشخص المثالي).

² ينظر: محمد، خلف الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مرجع سابق، ص 201.

³ ينظر: مصطفى، سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة)، ط4، دار المعارف، مصر، ص18.

3- تفسير الظواهر الفنية، والمعنوية أمثال: الطلل، والغزل العذري، والرمز، والأسطورة وذلك في دراسات ("عز الدين إسماعيل"، "يوسف سامي اليوسف" و"مصطفى ناصف"...)¹.

3- أهم الدراسات السيكولوجيا عند الغرب

ليست الوجهة النفسية في دراسة الأدب مقصورة على الدراسات العربية فقط، ولكن هناك نماذج منها في الدراسات الأوروبية، سنشير هنا إلى نواح منها:

1- الشاعر الإنجليزي (ت. س. إليوت) * (T.S.Eliot) الذي ألقى محاضرة بعنوان:

« التجربة في النقد » كان هذا في سنة 1969م، وقد تطرق فيها إلى اختلاف وجهات النظر النقدية، ما بين القرن التاسع عشر وما قبله، وأكد أن أهمية النقاد كانت تعمل على استخراج الحقيقة، أو لتحصيل المعرفة.

2- كتابات (شارل أوغستان سانت بوف) (Charles Augustin Sainte-Beuve)** الذي اعتبر الأدب جزءاً من دراسة التاريخ، و للناقد الأدبي أن يستخدم علم النفس، وعلم النفس التحليلي على الخصوص، وقد درس هذه الأشياء عن طريق الأدب، ومعالجة بعض معضلاته².

3- ونجد (هربرت ريد) (Herbert Read)*** الذي قام بنشر العديد من المقالات في النقد الأدبي، من ضمنها مناقشة المنزع النفساني من الوجهة النظرية، وهو يرى أن واجب الناقد الأدبي أن يقتصر لنفسه، وأن يلتقط من علم النفس أحد أسلحته، وبهذا اقتربت شيئاً فشيئاً من نوع سيكولوجي من النقد الأدبي³.

¹ - ينظر: مصطفى، سوييف: الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة)، مرجع سابق، ص 50.

* (ت. س. إليوت) (1965/1888م): شاعر وناقد أدبي، مسرحي، حائز على جائزة نوبل في الأدب عام 1948م.
** (شارل أوغستان سانت بوف): ولد في بولوني، كاتب وناقد فرنسي، درس البلاغة والفلسفة، لديه كتاب "المواساة".

² - ينظر: محمد، خلف الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مرجع سابق، ص 28-29.

*** (هربرت ريد) (1968/1893م): ناقد بريطاني، اختصاصي في الأمور الأكاديمية للفنون الجميلة.

³ - ينظر: محمد، خلف الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مرجع سابق، ص 30.

و"هربت" يريد أن يثبت صلاحية الطريقة السكولوجية في النقد، وأنها تستطيع أن تقدم لنا أحكاما أدبية، وعلى النقد أن يعنى لا بالعمل الأدبي فحسب، ولكن بعملية الخلق كذلك.

4- ولا بد من التطرق إلى الناقد الإنكليزي (ريتشاردز) (I.A.Richards)* فقد أضاف إلى هذا الميدان - البحث السكولوجي - الخطوة العملية، فاستخدم الطرق السكولوجية في النقد العملي، وقد كانت خطته في ذلك، أن يوزع في أثناء محاضراته قصائد، ويطلب من الحاضرين التعليق عليها، ويأخذها ويجعلها موضوعاً لمحاضرتة في الأسبوع التالي، كل هذا دون أن تكون للطلبة معرفة مسبقة باسم صاحب القصيدة، وقد نشر هذا البحث بكل نواحيه في كتابه « النقد العملي ». وهذا الأخير يؤكد أن العدة التي لا غنى عنها لهذا البحث، هي علم النفس¹.

ثالثاً: استنتاج

من خلال النقاط التي تم التطرق إليها، نستطيع القول بأن النص يُكون جملة من السياقات التاريخية، والاجتماعية، والنفسية، ونستطيع أن نحدد سياقه، من خلال جملة من الأدوات النقدية.

وينظر إلى السياق النفسي من منطلق معرفي، والعلم الذي يساعدنا على ذلك، هو علم النفس انطلاقاً من الأدوات النفسية، ومقولات المنظرين النفسيين، الذين يرون أن « مجال هذا العلم يمكن أن يوصف، بأنه يتصل بحقول الوظائف النفسية، الأشد تركيباً وسموياً، مثل الفهم، والكلام، والتفكير، والتخطيط، وحل المشكلات المعقدة »². وإذا كنا نتعامل مع النص الأدبي من الوجهة النفسية، فهذا يعني أن النص يحوي قيماً نفسية كامنة.

والملاحظ أن التفسير النفسي للنص، يتغاضى عن الوظيفة الفنية، ويبحث عن تأويل وتفسير هذا النص (تأويل نفسي)، وكل هذا من أجل إضاءة الجوانب الغامضة.

* (ريتشاردز): ناقد أدبي وعالم بلاغة، تلقى تعليمه في الكلية المجالية في كامبردج، يعتبر أحد مؤسسي دراسات الأدب الإنكليزي المعاصر.

¹ - ينظر: محمد، خلف الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، مرجع سابق، ص 32-33.

² - صلاح، فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992م، ص 17.

ولقد قدمت مدرسة "فرويد" ومدارس التحليل النفسي، فوائد جمة إلى المهتمين بتحليل النص نفسياً، وكان "فرويد" يتناول النص الأدبي من خلال « شخصية المبدع، والشخصيات الفنية في العمل الأدبي، والنص الإبداعي نفسه...»¹ حيث يسعى المحللون من خلاله - التفسير النفسي للنص - إلى اكتشاف أشياء لم يتم البوح بها مباشرة في النص الأدبي انطلاقاً من مقولات النفسيين، بأن الأدب تعبير عن النفس، وخفايا اللاشعور، وأن التحليل النفسي هو الوسيلة الناجعة لكشف أغوار النفس.

وإذا كان الاتجاه النفسي، أحد أهم المناهج التي أتت بأساليب جديدة على النقد الأدبي العربي الحديث، فقد اهتم الباحثون، والنقاد بما قدمته البحوث التي حللت الشخصيات، سواء أكانت تراثية أم معاصرة، وتناولت شخصيات أدبية، أو فنية مرسومة في النص.

ودراسة شخصيات هذا النص الأدبي، وتفسيرها يبيث الحياة في النص، ويتجاوز سكونه وقراره، وكأنه يستنطق النص الأدبي، ويجعل هذه الشخصيات تتحرك، وتتكلم وتبوح بالشيء المسكوت عنه، وبالتالي (التحليل النفسي) هو إعادة اكتشاف آخر للنص يُجلى غموضه ويُفصح عن صمته.

¹ - صلاح، فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، مرجع سابق، ص 17.

المفصل الأول:

ضبط المفاهيم

أولاً: تحديد مصطلح الرواية

- 1- تعريف الرواية لغة واصطلاحاً
أ- عند العرب:
* لغة واصطلاحاً
ب- عند الغرب:
* الدلالة الأولى لكلمة (Roman) - اصطلاحاً
- 2- الرواية العربية بين النشأة والتطور
أ- نشأة الرواية العربية في المشرق
ب- نشأة الرواية الجزائرية وعوامل تطورها
بج1- فترة الاحتلال
بج2- فترة الاستقلال واستعادة الحرية

ثانياً: تحديد مصطلح الشخصية

- 1- تعريف الشخصية
أ- لغة
ب- اصطلاحاً
- 2- تعريف الشخصية من وجهة علماء النفس
- 3- تعريف الشخصية الروائية
- 4- أهمية دراسة البعد النفسي للشخصية الروائية

ثالثاً: الرواية "جميلة زهير"

- 1- حياتها
- 2- أهم إبداعاتها
- 3- آراء بعض النقاد في كتاباتها

أولاً: تحديد مصطلح الرواية

1- الرواية لغة واصطلاحاً

أ- عند العرب

* لغة

« إن الأصل في مادة (روى) في اللغة العربية هو جريان الماء، أو وجوده بغزارة، أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال، أو نقله من حال إلى حال أخرى؛ من أجل ذلك ألفيناهم يطلقون على المزادة* الرواية، لأن الناس كانوا يرتون من مائها. كما أطلقوا على الشخص الذي يستقي الماء هو أيضا الرواية «¹.

جاء في "لسان العرب"

« يقال: روى فلان فلانا شعرا، إذا رواه له حتى حفّظه للرواية عنه. قال "الجوهري": رويْتُ الحديث والشعر رواية فأنا راوٍ، في الماء والشعر، من قوم رُواة ورؤيتُهُ الشعر تزوية، أي حملته على روايته، وأرؤيتُهُ أيضا وتقول: أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقل أروها إلا أن تأمره براويتها أي باستظهارها»².

لقد عرفت كلمة رواية تطورا ملحوظا، وذلك لتأثر هذه الكلمة بالزمن والمكان، كما اختلف معناها من مكان لآخر، ومن عصر لآخر.

* اصطلاحاً

بعد البحث وجدنا أن تعريف الرواية يختلف ويتعدد من باحث لآخر، مع الاتفاق في وجهات النظر في كثير من الأحيان، وعليه نجدنا معرفة في معجم المصطلحات الأدبية بأنها: « سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من

* المزادة: هي وعاء كالقربة، يحمل فيه الماء عند السفر ج: مَزَاد ومَزَايد ومَزَادَات.

¹ - عبد الملك، مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، 1998م، ص22.

² - خالد، رشيد القاضي: لسان العرب، ج5، ط1، دار الصبح واديسوفت، بيروت- لبنان، 2006م، ص369.

الأحداث والأفعال والمشاهد، والرّواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى...»¹.

ويرى "عبد الملك مرتاض" أنه من العسير إعطاء تعريف جامع مانع للرّواية، إذ أنها تشترك مع الأجناس الأدبية الأخرى؛ فهي تشترك مع الملحمة حين تسرد أحداثها. تسعى جاهدة إلى تمثيل الحقيقة، بالإضافة إلى الشعر حيث حاولت الاستعانة بجملة من الصور الشعرية الشفّافة، ساعية إلى تقمص لغة الشعر، باعتبارها تجسد الجمال الفني الرفيع، والخيال الراقي البديع، ما يجعلها مشتركة مع الشعر في هذه الخاصية. وتشترك مع المسرحية في بعض عناصرها: الشخصية، الزمان، الحيز، اللغة، والحدث فلا مسرحية ولا رواية إلا بشيء من ذلك².

ويقول "عبد الملك مرتاض" مشيراً إلى صعوبة تعريف الرّواية في موضع آخر: «والحق بأنّها بدون خجل ولا تردد بادر إلى الإجابة عن السؤال بعدم القدرة على الإجابة»³.

ويرى "إبراهيم سعدي" أن الرّواية هي أقرب فن أدبي إلى الحياة، ويتجلى ذلك على الصعيد اللغوي؛ فعلى الرغم من تعدد مستويات اللغة عند الروائيين، واختلافها من كاتب لآخر، فهي أقرب إلى لغة الحياة اليومية، إذا ما قيست بلغة الشعر⁴.

فالرّواية تعتبر جنس أدبي متطور باستمرار، على غرار الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر وغيره، فهذا "فيصل دراج" يقول: «الرّواية هي وحدها بين الأجناس الكبرى الأكثر شباباً من الكتابة والكتاب»⁵.

¹ - إبراهيم، فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، دار التعااضدية العمالية، تونس، 1986م، ص176.

² - ينظر: عبد الملك، مرتاض: في نظرية الرّواية «بحث في تقنيات السرد»، المرجع السابق، ص12.

³ - مفقودة، صالح: المرأة في الرّواية الجزائرية، ط2، دار الشروق للطباعة، بسكرة، 2009م، ص39.

⁴ - ينظر: إبراهيم، سعدي: دراسات ومقالات في الرّواية، منشورات السهل، 2009م، ص86.

⁵ - فيصل، دراج: نظرية الرّواية والرّواية العربية، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2002م، ص72.

ب- عند الغرب

* الدلالة الأولى لكلمة (Roman):

يقابل مصطلح (Roman) الفرنسي في اللغة العربية بكلمة رواية - كما هو معروف- إلا أن كلمة (Roman) قديمة جداً، وأطلقت في القرن الحادي عشر على النصوص المكتوبة بلغة الرومان، وهي اللغة الدارجة يقرؤها على الناس رجل متقف لأن الكتابة لم تكن ميسرة في ذلك الوقت، فاستخدمت الكلمة في الحدث أي القراءة ثم أطلقت على المادة التي تُتلى وتُحكى، وهو التاريخ الذي كان جارياً في ذلك الزمان ولكن هذا التاريخ سرعان ما تبدل وأصبح فردياً، وأخذ المؤلف يخترع من خياله الذي يمكن أن يحتوي على حقائق مادية عالمية، وظل الخيال مقترناً بالرواية، حتى أخذت تتجه إلى الواقع، ثم ظهرت الرواية الحديثة. والمذهب الرومانسي مأخوذ من هذا المعنى الخيالي، الذي ظل مرتبطاً زمنياً طويلاً بكلمة (Roman) لتصل هذه الأخيرة (أقصد الرواية) إلى ما هي عليه الآن، من تعدد في الأشكال والأنواع، حتى أضحت من الصعب الإلمام النهائي بمفهوم واحد لهذا اللون المتجدد من الأدب¹.

* اصطلاحاً

لا يخفى علينا ما حظيت به الرواية (Le roman) من غاية فائقة من قبل الدارسين، ولعل الكتب المؤلفة تعتبر أكبر شاهد على ذلك.

وهي دراسات متنوعة اتجاهاتها ومشاربها؛ منها من بحثت في تاريخية الرواية وأصل نشأتها، ومنها من اهتمت بالمقومات الجمالية للرواية وما إلى ذلك.

وفيما يلي عرض لبعض التعريفات وآراء النقاد الغرب عن الرواية:

¹- ينظر: أحمد، سيد محمد: الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م، ص ص 157-158.

- وهذا "جورج لوكاتش" يتحدث عن الرواية، حيث قال: «الجنس الأدبي النموذجي للمجتمع البورجوازي»¹.
- ورأى "باختين" أن الرواية عملية إبداعية مفتوحة، وأن طبيعتها المورفولوجية أهلتها لتعدد أسلوبي صوتي لغوي، يميزها عن الشعر، ويخلق منها عالما مركبا عديد المكونات². إذ يقول: «هي التنوع الاجتماعي للغات، وأحيانا للغات والأصوات الفردية تنوعا منظما أدبيا»³.

ويصف "باختين" الرواية بأنها لا تخضع لأي قانون، فيقول: «إنها المرونة ذاتها فهي تقوم على البحث الدائم، وعلى مراجعة أشكالها السابقة باستمرار، ولا بد لهذا النمط الأدبي من أن يكون كذلك، لأنه إنما يمد جذوره في تلك الأرضية، التي تتصل اتصالا مباشرا بمواقع ولادة الواقع»⁴.

ويمكن أن نخلص إلى نتيجة مفادها - بعد التعرض إلى جملة من المفاهيم والتعاريف التي خص النقاد الغرب والعرب بها الرواية - إلى أن:

- الرواية بناء سردي لغوي تخيلي.
- تعتبر الأكثر حداثة في الشكل والمضمون.
- الرواية هي الشكل الأدبي الذي يعكس ذلك التغيير، في الثقافة، والأدب، والمجتمع.
- تسرد أحداثا لا يمكن للقارئ التأكد من كذبها أو صدقها، أو إسنادها إلى أي مرجع محدد.

وفي خضم حديثنا عن الرواية، والذي تناولنا فيه جانب المضمون الذي أشرنا إليه وجانب الشكل، المتمثل في لغة الرواية وغيرها.

¹- جورج، لوكاتش: الرواية، ترجمة: مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص8.

²- ينظر: أحمد، رازك: الرواية بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1995م، ص13.

³- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴- المرجع نفسه، ص19.

فالرواية عدة أنماط ميزها "لوكاتش": « بين ثلاثة أنماط للرواية الغربية، انطلاقاً من العلاقة بين البطل والعالم، ثم أضاف نمطا رابعاً...¹، ومن أهمها: الرواية الاجتماعية، والرواية المثالية التجريدية، والرواية التاريخية، وأخيراً وليس آخراً الرواية النفسية، والتي خصصناها لموضوع بحثنا الموسوم بـ"سيكولوجيا الشخصية"، وعليه فالرواية النفسية هي: « سرد قصصي، يتركز حول الحياة الانفعالية لشخصياته، ويرتاد المستويات المختلفة لمناشطهم الذهنية² ».

وهذا الباحث "مفقودة صالح" يرى بأن الرواية النفسية يحدث فيها انفصال بين الذات، والعالم الخارجي إذ يهتم فيها البطل بنفسه³.

وتهتم الرواية النفسية « لسبب الفعل، ونتائجه، أكثر من اهتمامها بماذا حدث⁴ ». وعليه فهذا يؤكد على أن السرد في الرواية النفسية، يعمل على رسم الشخصيات من الداخل، وإبراز البواعث الخارجية الأخرى، وعليه: « يمكن اعتبار الرواية السيكولوجية تفسيراً لحياة داخلية غير مرئية⁵ ».

وبالتالي فهذا النوع من الروايات، يمكن اعتبارها شخصية، لأنها تتحدث عن تجارب، وأفكار، ومشاعر شخص أو بطل من أبطال الرواية، وفي بعض الأحيان مشاعر العديد من الشخصيات، التي تدور حولها قصة هذه الرواية.

¹ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 36.

² - إبراهيم، فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، مرجع سابق، ص 185.

³ - ينظر: مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 36.

⁴ - إبراهيم، فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، مرجع سابق، ص ن.

⁵ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- الرواية العربية بين النشأة والتطور

أ- نشأة الرواية العربية في المشرق

أثناء البحث في نشأة الرواية العربية، وجدنا بأنه هناك نوع من الاختلاف، أو بالأحرى تباين في الآراء بين الدارسين، فهناك من يرى أن الرواية امتداد للمقامة والقصة، والحكاية، وأن للرواية جذور وأصول في الأدب العربي، وكان هذا ممثلاً في كتابات "بديع الزمان الهمداني" و"الحريري"، فالروايات التي كتبت حتى بداية القرن العشرين، كانت موزعة بين أسلوب المقامات ولغتها، ويؤيد ذلك أحد الناقدين بقوله: « في نشأة الرواية في الوطن العربي سوف نلاحظ أن الرواية في لبنان - كما في مصر - بدأت بمحاولات أدبية على غرار المقامات العربية، إذ اقتفى كل من "ناصيف اليازجي" و"أحمد فارس الشدياق" أثر مقامات "الهمداني" و"الحريري" ... »¹.

لكن بعض الدارسين على خلاف زملائهم، يرون أن الرواية حديثة النشأة، ومن بينهم "إسماعيل أدهم"، حيث يرى أن الأدب القصصي في القرن العشرين منقطعاً عن الأدب العربي في بنيته التاريخية، ويراه شيئاً جديداً أوجده الاتصال بالغرب².

وهذا "بطرس خلاق" يقول: « لا يختلف اثنان في أن الرواية العربية، نشأت في العصر الحديث فناً مقتبساً من الغرب أو - متأثراً به متأثراً شديداً - »³.

لقد ظهرت أولى الروايات العربية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وكانت واقعة تحت تأثير عاملين: الحنين إلى الماضي، ومحاولة الاندماج فيه مرة أخرى والافتتان بالغرب، والخضوع لهيمنته، فالرواية ارتبطت أساساً منذ بداية نشأتها بمحاولة إبراز الهوية القومية، من أجل مواجهة المستعمر.

¹ - عبد الغني، مصطفى: الاتجاه القومي في الرواية، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1992م، ص22.

² - ينظر: مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص44.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما أن العرب تأثروا بالغرب، وخاصة الأدب الأوروبي « كان "رفاعة الطهطاوي" الرائد لهذه الحركة، من خلال ترجمته لـ (مغامرات تلماك) لـ "فنون"، وسماها (مواقع الأفلاك في وقائع تلماك) «¹.

وكانت الروايات المترجمة في بدايتها رديئة، بسبب المترجمين، وما يعملون على إضافته، أو حذفه كلاً حسب ثقافته « كان المترجمون يتدخلون بفضاظة في النص الذي يترجمونه؛ كانوا يضيفون إليه ويحذفون منه، حسب ما يلائم ثقافتهم أو أهواءهم، وكانوا في أحيان كثيرة يستعرضون ثقافتهم للمقارنة... »².

ومع بدايات القرن العشرين، ظهر نوع جديد من الروايات التي اتخذت التاريخ مادة لها وكانت أكثر معرفة ورسانة ومن بينهم: « كتب "فرح أنطون" (أورشليم الجديدة) وكتب "جورجي زيدان" رواياته التاريخية المشهورة، وكذلك فعل "فؤاد صروف" »³.

وفي عام 1912م صدرت رواية (زينب) لـ "هيكل"، وهي رواية يعتبرها عدد من مؤرخي ونقاد الأدب، نقلة نوعية هامة في مسار الرواية العربية.

وليس هذا فقط بل « عدت هذه الرواية فتحة في الأدب المصري، بل عدت أول رواية واقعية في الأدب العربي الحديث »⁴.

وفي هذه المرحلة أصبحت الرواية بمقاييسها الغربية، من حيث الشكل على الأقل هي السائدة، خاصة بعدما أضيف إليها عدد من الروائيين، بمن فيهم "المازني" و"توفيق الحكيم" و"طه حسين". وهكذا أصبحت الرواية في هذه المرحلة جنساً أدبياً قائماً بذاته إذ تخلصت مما كان يشوبها من حيث اللغة، أو من حيث الموضوعات، وأخذت تتنوع

¹ - نادر أحمد، عبد الخالق: الرواية الجديدة، بحوث ودراسات تطبيقية، ط1، العلم والإيمان للنشر والتوزيع 2009م، ص14.

² - حنا، الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (العصر الحديث)، منشورات ذوي القربى، طهران، 1992م، ص21.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص45.

« فكانت الرواية المصرية هي النموذج الأمثل، الذي كان الكتاب يقلدونه، ويسيروا في طريقه... »¹.

ولأسباب كثيرة، ومتداخلة أصبحت مصر خلال الفترة الممتدة من الحرب العالمية الأولى وحتى وقت متأخر « المركز الأهم، والأكثر تأثيراً على تطور الرواية العربية وشيئاً فشيئاً بدأت الرواية العربية تكتسب ملامح متميزة »².

إذ جاء بعد جيل "المازني" و"طه حسين" لما يسمى بـ"نجيب محفوظ": « إن مساهمة "نجيب محفوظ" في بناء الرواية العربية الجديدة، والمتميزة لا يماثله أي جهد آخر... وبذلك وضع الأسس الحقيقية للرواية العربية »³.

وبمجيء ثورة 1919م كانت مصر تشهد محاولات أخرى لتطوير الرواية، وتمثل ذلك في (حديث عيسى بن هشام) لـ"المويلحي" و(ليالي سطيح) لـ"حافظ إبراهيم"، وما لبثت الرواية أن تطورت أكثر على يد "محمد حسين هيكل" و"توفيق الحكيم"، وغيرهما في ذلك الوقت⁴.

أما العراق فإننا نلاحظ أنه بدأ منذ فترة مبكرة متأثراً بالرواية في مصر، فكانت الرواية المصرية هي النموذج الأمثل - كما ذكر سالفاً - غير أن التأثير العراقي لم يزد على التأثير الفني⁵.

« وبهذا نرى أن الباحثين المصريين على الخصوص، يجعلون من مصر سابقة في ميلاد الرواية، أما بقية الأقطار فإنها عرفت نشأة الرواية بعد ذلك، ولم تعرفها في زمن واحد، ذلك أن لكل بلد ظروفه الاقتصادية، والسياسية، والتاريخية »⁶.

¹ - عبد الغني، مصطفى: الاتجاه القومي في الرواية، مرجع سابق، ص 23.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - المرجع نفسه، ص 25.

⁶ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 46.

ب- نشأة الرواية الجزائرية وعوامل تطورها

يُجمع النقاد ودارسوا الفنون النثرية، على أن تأخر ظهور الرواية في الأدب الجزائري يعود إلى عدة أسباب أهمها: الاستعمار الفرنسي، وإفرازاته السلبية المتعددة، والمختلفة.

فمن المعروف عنها أنها بدأت متأخرة، بمقارنة بدايتها مع تاريخ بداية الرواية، في بعض البلاد العربية الأخرى، وخاصة منها المشرقية، التي بدأت فيها النهضة الثقافية، والأدبية في وقت مبكر.

وبصدد الحديث عن الرواية، ونشأتها في الجزائر، لا بد أن نتحدث عن فترتين متميزتين هما:

- فترة الاحتلال.

- فترة الاستقلال واستعادة الحرية.

1- فترة الاحتلال

ففي الفترتين يختلف فيها تطور الرواية، وعليه إذا أردنا الحديث عن فترة الاحتلال أو الفترة التي عانى فيها الشعب الجزائري من ويلات الاستعمار، وقد انعكس في الأعمال الأدبية الشعرية بصورة خاصة، أما في الرواية، فقد كان أول عمل في الأدب الجزائري، ينحو نحو روائيا، وهو "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لصاحبه "محمد بن إبراهيم" الذي يدعى "الأمير مصطفى"، والذي يعود تاريخه إلى تاريخ 1849م¹.

بالإضافة إلى بعض الكتابات المغمورة، أو التي كانت تنشر في الصحف التونسية أمثال: « عبد الحميد الشافعي" صاحب رواية (الطالب المنكوب)، و"نور الدين بوجدره" مؤلف رواية (الحريق)، و"الطاهر وطار" مؤلف (دخان من قلبي)، و"عبد الحميد بن هدوقة" مؤلف (الأشعة السبعة)، فقد نشرت مؤلفاتهم هذه لأول مرة بتونس... »².

¹- ينظر: مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص50.

²- محمد صالح، الجابري: الأدب الجزائري المعاصر (دراسة)، منشورات السهل، الجزائر، 2009م، ص154.

وفي ظهور أول رواية جزائرية نجد "أحمد منّور"، حيث يقول: « وتكون (عادة أم القرى) إذ اختلفا في كونها رواية هي إرهاباً للرواية، وتكون رواية (الحريق) على ما فيها من نقائص فنية، تطورا طبيعيا لهذا الفن، وتكون (رياح الجنوب) النموذج الأفضل ولكنها لن تكون كذلك بالنسبة للتجارب التي ستأتي بعدها، حتى بالنسبة لكتابها نفسه»¹.

يوجد هناك اختلاف في أول ظهور للرواية الجزائرية بين الباحثين الجزائريين، ربما هذا بسبب النقائص الفنية الموجودة في تلك الروايات الأولى؛ لأن معظم الذين كتبوا في هذه المرحلة كانوا من طلبة، وكانوا يريدون الالتحاق بالثورة، ولكن الدراسة، والتعلم منعهم من ذلك « ولهذا السبب كانت الكتابة هي البديل المتاح، إذ لا فرق بين الكفاح بالقلم، وبين الكفاح بالسلح، فكلاهما يشكل الخطر الحاسم على المستعمر»².

وربما وجد في هذا الفن - الكاتب أو الروائي - ضالته المنشودة للتنفيس عن مختلف المكبوتات، فهذا الفن في الخمسينيات كان ما يزال فناً جديداً بالنسبة لهم³.

والمتمأمل لكل هذه الروايات، والقصص يجد فيها كل ما هو عاطفي، من حيث المشاعر الوطنية، وغيرها على الرغم من إهمالها لبعض القواعد الفنية المعروفة عن الرواية، ومن ثمة « فإن قصص هذه المرحلة، قد يكون لها عذرها في أنها تخطت الجوانب التقنية، ولم تحفل بها إلا فيما ندر»⁴.

فيمكن إرجاع الفضل الكبير لهذه الكتابات، إلى الثورة في كونها ظلت تغذي النتائج الروائي، حتى في فترة ما بعد الاستقلال.

¹ - أحمد، منور: ملامح أدبية (دراسة في الرواية الجزائرية)، الساحل بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر، 2008م، ص 17.

² - محمد صالح، الجابري: الأدب الجزائري المعاصر (دراسة)، مرجع سابق، ص 156.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 157.

⁴ - المرجع نفسه، ص 158.

ب2- فترة الاستقلال واستعادة الحرية

كانت الوضعية العامة للجزائر عقب الاستقلال مزرية للغاية، وفي جميع المجالات دون استثناء. وهذا التغيير لابد له من فترة زمنية كافية، وإلى وعي آخر جديد لتعمق فهمه والعمل للكتابة عنه، وهذا ما لم يكن متوفراً لدى كثير من كتاب مرحلة الثورة التحريرية، هؤلاء الذين كانوا يكتبون في موضوع واحد محدد واضح، هو الحرب ضد الاستعمار، والإشادة بالمجاهدين، وخصالهم، وأفعالهم.

وبهذا توقفوا عن الكتابة مباشرة مع الاستقلال، معتبرين أن رسالتهم في الكتابة قد أدت دورها وانتهت، والملاحظ أن الاختلاف في هذا الأمر كان واضحاً بين الكتاب فمنهم من توقف، ومنهم من كتب قليلاً، ومنهم من حمل على عاتقه مسؤولية المساهمة في البناء، وتصوير مظاهر الصراع العنيف الذي يخوضه الشعب، لإثبات وجوده فقد « شهدت هذه الفترة وحدها - السبعينات - ما لم تشهده الفترة السابقة من تاريخ الجزائر من انجازات... فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله »¹.

فالرواية لم تظهر في الستينيات بسبب الفراغ السياسي، والفراغ الإداري، وضعف التعليم، وقلة المتعلمين، وضعف وسائل الثقافة بمختلف أنواعها. مما لا شك فيه أن كل هذا أو غيره، جعل الجانب الثقافي في العشرية الأولى من الاستقلال يكاد يكون مهملاً مما أثر في مسار الأدب، ومنه الرواية « لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية زيادة على أن ثقافة الأديب نفسه لم تكن لتساعده، ولا لتسهم في ظهور الرواية »²، ولكن هذا التأخر يعتبر مفيداً جداً لأنها « خلقت التربة الأولى التي ستبنى عليها أعمالاً أدبية فيما بعد، خصوصاً مع التحولات الديمقراطية في بداية السبعينيات »³.

¹ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 57.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ - المرجع نفسه، ص 58.

فمع بداية السبعينيات، شهدت الرواية تطوراً، وتتنوع لم تعرفه من قبل، ومن أهم الأعمال الروائية، أو بالأحرى الروائيين نجد أبرزهم: "الطاهر وطار"، "عبد الحميد بن هدوقة"، و"واسيني الأعرج" « فهؤلاء الثلاثة يمثلون الرواية الجزائرية »¹.

إن القصة التي تروىها الرواية الجزائرية التسعينية، هي قصة الإنسان الجزائري ومعاناته، وهي تروي حقائق سياسية، وثقافية، وغيرها.

« وقد أنتجت لذلك نماذج روائية، تشمل مرحلة العنف الروائية في أغلبها: "أحلام مستغانمي" (ذاكرة الجسد)، "الطاهر وطار" (الشّمة والدهاليز) و"واسيني الأعرج" (سيّدة المقام) »².

ولعل الرواية الجزائرية، وما شهدته الجزائر آنذاك من عنف، أدى بالأدباء الجزائريين للتحدث في رواياتهم عن زمن المحنة، وعن المعاناة التي عرفها الشعب الجزائري، من جرائم إرهابية أودت بحياة الكثيرين.

كما أن هناك عدة عوامل ساهمت في تطور الرواية الجزائرية منها:

«1- الزيادة المطردة في عدد الكتاب وذلك نظراً لانتشار التعليم.

2- تطور الوسائل الخاصة بالنشر كالطباعة مثلاً.

3- مساهمة الأجيال اللاحقة في الكتابة الروائية »³.

فلنلاحظ أن تطور الرواية، كان دائماً مرتبطاً بالعامل السياسي، وتغير الأوضاع الاجتماعية وغيرها.

¹ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 58.

² - الشريف، حبيبة: الرواية والعنف - دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة-، عالم الكتب الحديث الأردن، 2010م، ص 5.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ثانياً: تحديد مصطلح الشخصية

1- تعريف الشخصية لغة واصطلاحاً

أ- لغة

جاء في معجم "لسان العرب" (شخص): « الشَّخْصُ جماعة شَخَّصَ الإنسان وغيره مذكر والجمع أَشْخَاصٌ، وشَخَّصُ وشَخَّصٌ وشَخَّاصٌ »¹.

أمّا في معجم "العين" فقد ذكر: الشَّخْصُ: « سواد الإنسان إذا رأيتَه من بعيد، وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شَخْصَهُ، وجمعه: الشُّخُوصُ والأشْخَاصُ والشَّخِيسُ: العظيم الشَّخْصُ، بين الشَّخَاصَةِ »².

ومن التعريف اللغوي نرى المعنى يشير إلى الهيئة المشكلة للإنسان، وفي الجسم المعنوي العظيم الذي يدرك من خلال الفهم الإنساني.

ب- اصطلاحاً

لفظ الشخصية من الألفاظ التي شاع استخدامها في لغتنا اليومية، والشخصية كلمة لاتينية، مشتقة أساساً من اللغة اليونانية التي تعني القناع، وقد شاع عند الرومان استخدام مفهوم الشخصية، وهي تعني الشخص كما يظهر بالنسبة للآخرين وليس كما هي الحقيقة، ومن مضمون هذا المعنى، يمكن أن نفهم تأثير السلوك الشخصي على الآخرين³. وحقيقة الأمر أن الشخصية ليست شيئاً منعزلاً عن الشخص، فهو ظاهره وباطنه، وتعد المحطة النهائية لسلوكه، بكل أبعاده الوراثية والبيئية، وليست شخصية الفرد سوى نتاج قوى داخلية، تمارس فاعليتها حيال القوى الخارجية، كما تتأثر بفاعلية هذه القوى.

¹ - خالد رشيد، القاضي: لسان العرب، ط1، دار الصبح واد يسوفت، لبنان، 2006م، مادة (شخص)، ص495.

² - أبو عبد الرحمان، خليل بن أحمد الفراهيدي: كتابات العين، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 2006م، ص165.

³ - ينظر: عبد المنعم، الحنفي: الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي، ط2، مكتبة مدبولي، لبنان، 2003م

2- تعريف الشخصية من وجهة علماء النفس

في علم النفس مصطلحات كثيرة يعتبرها العلماء غامضة، ولعل مصطلح "الشخصية" من أهم تلك المصطلحات الأشد غموضاً؛ لأنها تشتمل على جميع الصفات الجسمانية والعقلية، والخلقية في حالة تفاعلها مع بعضها البعض، وتكاملها في شخص معين، يعيش في بيئة اجتماعية معينة، وقد تنوعت تعريفاتها تنوعاً كبيراً، فهي صورة منظمة متكاملة لسلوك فرد، لما يشعر بتميزه عن غيره¹.

غير أن تعريف الشخصية يبقى في نظر الأخصائيين، وعلماء النفس غير ملم بجميع جوانبها، نظراً لطبيعة تداخل عواملها، ولا يمكن فصلها، وتحليلها على انفراد، ونورد فيما يأتي التعريفات المتميزة لبعض العلماء، كلا حسب مفهومه.

قبل التعريف بالشخصية الروائية، التي هي جزء لا يتجزأ من بحثنا، يحسن بنا أن نقدم لها تعريف عام، من خلال بعض رؤى علماء النفس. وسنقتصر في ذلك على رأي عالم غربي وكاتب عربي، مع استنتاج متواضع لذلك:

يرى "جوردن ألبورت" * (G. Allport) أن: « الشخصية هي التنظيم الديناميكي، داخل الفرد لأجهزة النفس التي تقرر الطابع الفريد للشخص في السلوك والتفكير، بالإضافة إلى أنها جملة الصفات الجسمية، والعقلية، والمزاجية، والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تميزاً واضحاً »².

أمّا "عثمان فراح": « الشخصية عبارة عن التنظيم الداخلي للدوافع، والانفعالات والإدراك، والتذكر التي تحدد أسلوب الفرد في سلوكه »³.

لذا فإنه من الإيجاز المفيد، أن نقدم التعريف الجامع الشامل الحديث للشخصية الذي هو: « التنظيم النفسي الإنساني المحدد الفريد، الذي يتضمن مجموعة ما يمتلكه ذلك الإنسان بذاته من استعدادات، وقدرات جسمية، وانفعالية، وإدراكية، واجتماعية، بأسلوب

¹ - ينظر: حامد عبد السلام، زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، مصر، 1977م، ص71.

* جوردن ألبورت (G. Allport) (1967/1897م) عالم نفس أمريكي، إهتم بدراسة الشخصية، أحد من وضع أساس علم نفس الشخصية.

² - راجح أحمد، عزت: أصول علم النفس، ط2، دار الكتاب، مصر، 1922م، ص473.

³ - عثمان، فراح وعبد السلام، عبد الغفار: الشخصية وعلم النفس، دار النهضة العربية، مصر، 1977م، ص251.

سلوكي في المواقف المختلفة في مجال حياته العملية، بحيث نستطيع التنبؤ بأنماط سلوكه الثابتة نسبياً في معالجة المواقف المتشابهة»¹.

وهذا التعريف الشامل يكاد يجمع كل سمات الشخصية وعناصرها. والحقيقة النفسية تؤكد أن "الشخصية" هي نتاج عوامل فطرية وراثية في الجسم، وبعض أجهزته العصبية، والدموية والحسية، إلى جانب عوامل مكتسبة من البيئة، والمجتمع، وكلها متفاعلة ومتكاملة فيما بينها، ويستمر التفاعل ما دام ذلك الإنسان حياً.

3- تعريف الشخصية الروائية

تعد الشخصية الروائية من بين أهم المكونات السردية في الرواية، لما تلعبه من دور رئيسي في إنتاج: «الأحداث بتفاعلها مع الواقع أو الطبيعة، أو تصارعها معها»². وذلك لأنها تقوم بدور مهم في نطاق الرواية، فهي العامل الأساسي الذي يربط بين الأحداث والأمكان، وهي التي تمنح النص الأدبي معناه وكنهه.

فأغلب الروايات ما هي إلا أحداث وأفعال تقوم بها الشخصيات، وبما أن الرواية عمل فني «فإن من المستحيل أن تحيا إحدى شخصيات الرواية، خارج الكتاب المسمى رواية»³ وبالتالي تختلف الشخصيات من رواية لأخرى.

الشخصية تركيب أبدعته مخيلة الروائي، وجسدهته اللغة، ويستطيع الروائي التحكم فيها بشكل مباشر، لكي تخدم غرضه، كونها مخلوقات ورقية صنعها بيده، تتشكل ملامحها تدريجياً عبر المسار السردية، كما أنها «تولد عبر السرد، ويتشكل الجسم الروائي من الملامح الظاهرة والمضمرة للشخصيات»⁴. إن الشخصيات الروائية كائنات صماء، فضاؤها اللغة تتحرك بوحى الكاتب، تقوم «بمهمة التعبير عن الرؤى الإيديولوجية المتباينة، أو المتشابهة بوسائل مختلفة، ومواصفات متباينة، تبعاً لطبيعة البناء الفني الذي يعتمده الكاتب»⁵.

¹ - يوسف، مراد: مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، مصر، 1999م، ص20.

² - محمد، علي سلامة: الشخصية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، ط1، دار الوفاء، مصر، 2007م، ص11.

³ - المرجع نفسه، ص173.

⁴ - محمد، ساري: (نظرية السرد الحديثة)، مجلة السرديات، العدد 01، مخبر السرد العربي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004 م ص27.

⁵ - المرجع نفسه، ص39.

فالأشخاص الذين يختارهم الكاتب من واقعه الاجتماعي، يدخلوا الرواية حتى ينفصلوا عن ذواتهم الأولى، وتتحقق لهم ذوات جديدة يرسمها النص، فهي تحيلنا بالضرورة إلى واقع ملموس، لأن لكل كائن منها عالمه الذي يتحرك فيه.

والشخصية تمثل نقطة اجتذاب القراء، الذين يبحثون عن القصة التي تقدم لهم شخصيات حية، فهم يسعون إلى التعرف إلى شخصيات جديدة، وإلى مراقبة مشكلات الحياة، وهي تتفاعل مع شخصيات إنسانية، يسهل عليهم فهمها وإدراكها. ولا شك في أنّ عناصر القصة الأخرى، تتضاءل أمام الشخصيات الحية المتحركة، والقصة أو الرواية تتطور، وتصبح معقدة من خلال تأثير الشخصيات، لأنها تفجر القصة، وتعدد أبعادها، وتدفعها نحو اتجاهات جديدة.

فالشخصية تعتبر عنصراً مهماً من عناصر الرواية، إن لم تكن أهمها على الإطلاق فهي « المحور الذي تدور حوله الرواية كلها... لا معنى ولا وجود لأية رواية إلا بما فيها من شخصية أو أكثر »¹، لأن القارئ يهتم بهذه الشخصيات، ويتابعها بلهفة لكي يعرف كل أسرارها وخفاياها، لهذا يلجأ الراوي إلى وصف ملامحها، وقامتها، وملابسها، وسنها وأهواءها، وهواجسها، وآمالها، وآلامها، أما اختلاف هذه الشخصيات داخل العمل الفني في مبادئها، وعواطفها وأشكالها، للتناسق فيما بينها، وتعطينا إمتاعاً وتشويقاً لهذه الرواية.

وهذه الشخصيات وما تحملها من آراء ووجهات نظر مختلفة، تشكل الجزء الأكبر، والأهم في الرواية، يقول "أندرية جيد": « الرواية كما أتعرف عليها أو أتخيلها، تتضمن تنويعاً من وجهات النظر، تخضع لتنويعاً من الشخصيات الموجودة »².

لا يمكن تصور عمل سردي بدون شخصيات، هذه الأخيرة تتميز عن بعضها البعض من خلال التقديم الذي قد تظهر فيه، إذ قد يعرفنا كاتب ما بشخصية جديدة تكون غير معروفة أو يقوم بإخفاء أخرى عن طريق تجاهلها، لذا فالشخصية الروائية، تحيا بمقدار تأثيرها في سير الأحداث، وتموت إن كانت ساكنة لا دخل لها في تعقيد حبكة الرواية.

¹ - حسين، القباني: فن كتابة الرواية، دار الجيل، لبنان، 2006م، ص 68.

² - نهاد، التكريلي: الرواية الفرنسية الجديدة، دار الحرية للطباعة، العراق، 1985م، ص 181.

4- أهمية دراسة البعد النفسي للشخصية الروائية

تحاول الرواية أن تبرز الحالة النفسية، والذهنية للشخصية، وتحدد مدى تأثير الغرائز في سلوك هذه الشخصيات، من انفعال أو هدوء، من حب أو كره، من روح الانتقام أو التسامح. هل هي شخصية اجتماعية أو انطوائية؟ معقدة أو خالية من العقد؟ متفائلة أو متشائمة؟ فالشخصية يجب أن تكون مقنعة للقارئ، من بداية الرواية حتى نهايتها، وهذا الجانب يدرس فيه القاص مشكلات الشخصيات النفسية، ويدرس الغرائز، ومدى تحكمها في سلوك الأفراد، وانفعالاتهم وتصرفاتهم « كغريزة حب البقاء، والغريزة الجنسية، والخضوع، إلى غير ذلك من الاستعدادات الفطرية النفسية، والدوافع السيكولوجية التي تدفع الفرد إلى إدراك من نوع معين والشعور بانفعال خاص عند الإدراك، أو أن يسلك نحوها مسلكاً بذاته، يجد في نفسه على الأقل دافعاً إليه »¹.

فالرواية ميدان واسع لكي يغوص القاص في أعماق شخصياتها، ويبرز منها كل صغيرة وكبيرة، فالقصة - على حد قول أحد الباحثين المعاصرين - « هي المجال الأول في ميدان الأدب للتحليل النفسي »². إن هذا الدخول إلى العالم الداخلي للشخصيات وتصوير نفسياتهم وأذهانهم، مهم جداً لكشف العالم الداخلي لهم.

ويحاول الروائي أن يقترب من الحياة بشكل مباشر، لا عن طريق النظريات النفسية حول الدوافع والانفعالات، بل يتناول الشخصيات الموجودة في الحياة، فهو لا يتعامل مع الناس على أنهم قضايا تاريخية، ولا على أنهم يمثلون نفسيات شاذة، بل ينبغي أن يتعامل معهم بوحى حكمته هو، لا على أساس تجربة شخص آخر، فهو عبارة عن تصوير واقع الناس. ولا يخفى أن كُتَّاب الرواية - أو بعضهم على الأقل - الذين تفتنوا في رسم شخصياتهم الروائية، فاستخدموها في سرد مختلف الأحداث، كانوا يشعرون أن عملهم من خلال تلك الشخصيات عملاً شيقاً.

أما النقاد والباحثون فتمثل عملهم في معالجة تلك النصوص الروائية، وبخصوص الجانب السيكولوجي، وهو موضوع الدراسة. سينيح لنا اكتشاف تلك العوالم الجديدة في عملية

¹ - سيد حامد، النساج: اتجاهات القصة المصرية الحديثة، دار المعارف، مصر، 1977م، ص143.

² - علاء الدين، وحيد: في القصة القصيرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972م، ص25.

الإبداع، من حيث الدوافع النفسية الكامنة وراء كل نص مكتوب؛ أي معرفة الذات المبدعة في أعماقها الحسية واللاشعورية.

ثالثاً: الروائية "جميلة زنير"

1- حياتها

"جميلة زنير" من مواليد 1949/05/16م بمدينة جيجل الموجودة في الشرق الجزائري. المهنة أستاذة أدب عربي (متفرغة للكتابة حالياً)، بدأت بكتابة النصوص الشعرية، ثم تفرغت للكتابة النثرية القصصية، والروائية منذ السبعينات « كنت أول فتاة في جيجل تتجرأ على كسر أعراف القبيلة، فتنشر اسمها عبر الإذاعة في أواخر الستينيات وبداية السبعينات »¹. نشرت نصوصها في أغلب الصحف، والمجلات الوطنية والعربية، و"جميلة" كانت تعتبر كاتبة تحارب من أجل قضية، والتي هي قضية المرأة، وقضية نصف المجتمع، تلك كانت في مطلع استقلال الشعب الجزائري، لا تمثل شيئاً له اعتبار، سواء عند عامة الناس أو وسط الطبقة المثقفة، أو بمعنى آخر كان اهتمام الجزائريين - شعباً ودولة - مُنصباً على إصلاح ما أفسده المستعمر الفرنسي، ولم تكن قضية المرأة تمثل أولوية أو ذات شأن.

والأسرة الجزائرية آنذاك لا تعطي للمرأة مكانتها اللائقة بها، كما شرعت لذلك الأديان والداستير، وعملها في المجتمع محدد مسبقاً، في ذهن ذلك الجزائري صاحب الإسلام الوراثي، والعقلية المتحجرة، التي تبيح لها إلا خدمة واحدة بين أربعة جدران، حيث تقول: « كنت أكتب من غير أن يطلع أحد على كتاباتي أو يشجعني على مواصلة الكتابة، فأنت تلاحظ أن القمع ينطلق من الأسرة إلى المجتمع (القبيلة)... هذا المجتمع القبلي يمارس عليك قمعاً آخر أشد وأقسى، وعدم الاهتمام بما يكتب، فهو لا يشجعك لأنه يرى هذه الأشياء ضرباً من العبث تدخل في خانة (لا يجوز) »².

وهنا نجد أن الروائية "جميلة زنير" كانت تعيش التهميش طويلاً، وعاشت إجحاف المجتمع وقسوته، ورغم كل هذا لم يستطع أحد، أن يحول بين الكاتبة ونصها، بين لسانها وقلمها، بين قلمها وأوراقها، فهي ترى بأنها « كتبت ومازالت تكتب، ولم تجد لحد الآن من يقول لها توقفي هنا فقد تجاوزت حدودك »³.

¹ - يمينه، عنناك: (قضايا المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر)، مجلة التبيين الجاحظية، العدد 36، منشورات السهل

الجزائر، 2011م، ص 94.

² - المرجع نفسه، ص 100.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- أهم إبداعاتها

للأديبة "جميلة زنير" مجموعة أعمال أدبية، نالت من خلالها عدة جوائز وطنية ودولية واهتمت بها دوائر النشر، فتم طبعها في الجزائر، وتتراوح هذه الأعمال بين قصص عامة وقصص للأطفال، بالإضافة إلى الروايات.

وقد بدأت "زنير" مسيرتها الأدبية بالقصة الأولى بعنوان "دائرة الحلم والعواطف" عام 1981م، وازدانت بمجموعة أخرى، بلغ عددها أكثر من عشرة أعمال كما يوضحها الجدول الآتي:¹

جوائز	روايات	قصص الأطفال	قصص
1- تحصلت على جائزة نظمتها وزارة الثقافة في أدب الطفل عام 1997م.	1- أو شام بربرية 2000م.	1- الصرصـور المتجول 1981م.	1- دائرة الحلم والعواصف 1981م.
2- الجائزة الوطنية الأولى في الرواية التي نظمتها ولاية سكيكدة عام 2000م.	2- تداعيات امرأة قلبها غيمة 2001م.	2- الطفل والشجرة 1999م.	2- جنية البحر 1999م.
3- جائزة الامتياز الأولى لكتابات حوض البحر الأبيض المتوسط عام 2001م.	3- أنيس الروح 2007م.	3- مرجانة 2002م.	3- أسوار المدينة 2003م.
		4- لينيا والمطر 2005م.	4- المخاض 2004م.
		5- الوسام الذهبي (8 قصص 2007م).	5- أنطولوجيا القصة النثرية 2007م.

¹ - يمينه، عجنالك: (قضايا المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر)، مجلة التبيين الجاحظية، مرجع سابق، ص 14.

3- آراء بعض النقاد في كتاباتها

ظلّ الصوت النسائي في الأدب الجزائري بعيداً عن السّاحة، فالأدب أو بالأحرى الكتابة النسوية، وليدة الستّينات وبصورة أدق من مواليد السبعينيات. وكانت البداية مع "زهور ونيسي" التي أطلت علينا بروايتها الموسومة بـ "من يوميات مدرسة حرة".

ومن الأسباب التي أدت إلى تأخر الكتابة النسوية في الجزائر، هي التقاليد الاجتماعية التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية، وترى أن تواجهها في الساحة الثقافية، والأدبية يثير الفتنة ويشجع الانحلال.

ورغم هذه المعاناة، إلا أن الكتابة النسوية الجزائرية كان لها المكانة الرفيعة في الثقافة الجزائرية، والمحافل العربية، عن طريق انتزاع الجوائز، وحصولها على المراتب الأولى.

وتعد الروائية "جميلة زنير" من حيث اللغة أو الأسلوب متمكنة، وحتى بالنسبة لتجدد المواضيع، مما جعلها موضوع دراسة للعديد من النقاد والباحثين، وهذه بعض ما قيل من آراء الباحثين الجزائريين في كتابات "زنير"، وأساليبيها الشيقة نبدأها بـ: "فضيلة معيرش" التي قالت بأنها: « تملك من الحسية اللغوية العالية، ما جعلها تستنفض مفاتيح اللغة الظاهرة والباطنة... فتزح القارئ عن الانخراط في سياقات الأبجدية الخاصة به، متميزة بذلك عن غيرها »¹.

ويرى "يوسف وغليسي" بأنها: « إحدى القليلات اللاتي حافظن على استمرار مسارهن الإبداعي، كان مسارها يتطور بشكل فني لافت وبتصاعد منطقي من القصة للرواية »².

¹ - فضيلة، معيرش: (شهرزاد الجزائر "جميلة زنير" إرث قصصي متجدد)، مجلة دنيا الوطن، العدد 17-22، دار الكتاب الجزائر، 2013م، ص 19.

* يوسف وغليسي: من مواليد مدينة سكيكدة 1970م، حصل على شهادة ليسانس بقسنطينة سنة 1993م، يعمل صحفياً متعاوناً في جريدتي النور، الحياة، وعضو مؤسس لرابطة إبداع الثقافة الوطنية.

² - يوسف، وغليسي: (على هامش الملتقى الوطني العربي لسرديات الكتابة العربية)، جريدة الرياض، العدد 14458 دار الشروق، الجزائر، 2008م، ص 29.

وقال أيضا: « إنها من أقدم الكاتبات الجزائريات وجودا على أرض النص الفني الجميل »¹.
فهي تعد في نظر النقاد، أجمل قلم نسوي بعد الاستقلال.

والروائية "جميلة زنير" كانت ترسم في أعمالها لغة شجية، تعبر عن آلامها وآلام وطنها وهذا "سعيد موقفي"^{*} في حديثه عن "جميلة زنير" يقول بأنها تعتبر: « القاصة الجزائرية التي تفاعلت مع القضايا الوطنية، والاجتماعية بحب، وترجمت هذه التجارب بأسلوب أقل ما يقال عنه أسلوب واقعي، لا يخلو من توظيف مجازي لبعض المشاهد الإنسانية ... القاصة أثرت القصة الجزائرية منذ السبعينيات ولا زال عطاؤها يتوقد »².

فقد تعدد مجالات إبداعاتها من قصة ورواية، فجاءت تلك الإبداعات بجماليات مميزة فهي تعتمد في كتاباتها على تقنيات كبيرة، ومختلفة. مما يجعلها تنقل الواقع نقلا فريداً من نوعه، فهي زعيمة الحس الرفيع، وكأنها أمام مشاهد منقولة على أرض الواقع.

وكل ما تميزت به أشارت إليه الباحثة "سعاد بوقوس"^{**} بهذه العبارة: « عظيمة هي جميلة وقاصة حتى النخاع، رائعة وكأنها ولدت لتكون كذلك بطبيعتها، بتواضعها بكل ما هو جميل. حقيقة اسم على مسمى، ولن أضيف أكثر من هذا »³.

وتبقى تجربة "جميلة زنير" السردية الخيالية سبباً من أسباب نجاحها، كإرث قصصي جزائري صالح للدراسة، في كل زمان ومكان، فإن كانت قد سبرت في شخوصها طبائعهم النفسية، والإنسانية فأصبحوا كأنموذج حكاوي.

¹ - يوسف، وغليسي: (على هامش الملتقى الوطني العربي لسرديات الكتابة العربية)، جريدة الرياض، مرجع سابق ص31.

^{*} سعيد موقفي: من مواليد 1963م، أستاذ تعليم ثانوي، متحصل على شهادات من بينها ماجستير دراسات أدبية، الجزائر 2008م.

² - سعيد، موقفي: (على هامش الملتقى الوطني العربي لسرديات الكتابة العربية)، مرجع سابق، ص 40.
^{**} سعاد بوقوس: كاتبة وقاصة من مواليد مدينة سكيكدة 1968م.

³ - سعاد، بوقوس: (على هامش الملتقى الوطني العربي لسرديات الكتابة العربية)، المرجع نفسه، ص 50.

الفصل الثاني:

دراسة نفسية لشخصيات رواية

"أصابع الإتهام"

أولاً: ملخص الرواية

ثانياً: "أصابع الإتهام" دراسة تحليلية نفسية

- 1- تمهيد
- 2- الشعور بالحزن ومرارة اليتيم
- 3- الشعور بالعدوانية
- 4- الشعور بالدونية والعار
- 5- الرفض الأسري والاجتماعي

ثالثاً: البعد النفسي لشخصيات رواية "أصابع الإتهام"

- 1- تمهيد
- 2- المونولوج الداخلي
 - أ- المونولوج الداخلي المباشر
 - ب- المونولوج الداخلي غير المباشر
- 3- مناجاة النفس

أولاً: ملخص الرواية

إن الرواية لوحة فنية تصف طبائع النفوس ودخائلها، وتكشف عن خبايا الحياة، التي قد لا نجرؤ على البوح بها.

فالرواية التي تخص موضوع دراستنا، والموسومة بـ "أصابع الإتهام" للروائية "جميلة زنير" فهي تتحدث عن معاناة المرأة الجزائرية بعد الاستقلال، فقد خاضت في العديد من قضايا المرأة، وعلى الظلم الذي تواجهه من الطرف الآخر سواء أكان « الزوج، الأخ، الأب... » أو حتى الغني الذي يملك السلطة على هذا الفقير، الذي لا حول ولا قوة له، وعليه فالرواية "جميلة زنير" حاولت إعطاء ولو فكرة صغيرة، عن هذه المعاناة، لذلك دونت في الصفحة الأولى عبارة تلخص تلك المعاناة، مهداة إلى المرأة الجزائرية، وهذا ما أطلقت عليه « صفحات من تاريخ القهر النسوي ».

فهذه الرواية عبارة عن مجموعة فصول، دون أن تجعل لذلك عناوين، ولكنها مرتبطة ومتداخلة فيما بينها، وعليه أردنا إعطاء ولو فكرة عامة، تجسد ما كانت ترمي إليه الكاتبة لكي تلخص سنناً من معاناة المرأة الجزائرية بعد الاستقلال.

اتخذت الروائية "جميلة زنير" اسماً لبطلتها والمدعوة "زينة" هذه الفتاة الصغيرة، وحيدة في هذه الدنيا، فقد كانت كل الإتهامات موجهة إليها، فهي « المتهمّة قبل أن تأثم؟ »¹، وتُبقى الكاتبة سؤالاً مطروحاً، من أجل تجسيد معاناتها: أين أبواها من كل هذا...؟.

هنا تظهر شخصية "أب زينة"، الذي تحدث عن المعاناة التي عاشها، في ظل تعذيبه من طرف المستعمر الغاشم، من أجل البوح بمكان إخوته، ولكنه توفي ولم يكن معروفاً، هل انتحر أم قُتل؟ لا أحد يعلم، لأن الشعب الجزائري كان مشغولاً - وفي كل ربوع الجزائر - بالأيام الأولى لاستقلال بلاده، التي احتلها المستعمر الفرنسي منذ 1830م، فالشعب لم يتوان يوماً على محاولاته المتكررة، والمستمرة من أجل أخذ الحرية، ولو كان ذلك بعد طول انتظار، وأبوها كان يعتبر خائناً للوطن، في نظر الفكر الجمعي للثورة ومجاهديها، فالبطلة

¹ - جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008م، ص 7.

"زينة" لا تتذكر عن أبيها إلا حدثاً واحداً « عجزت الوقائع القاسية التي مرت بها أن تمحوه من ذاكرتها... »¹.

ثم تنتقل بنا الرواية إلى مشهد آخر، عمل على تغيير مسار الرواية، وهو رحيل "زينة" عن البلدة، وكان هذا في أواخر جويلية، وبعدها اختفاء أم البطلة "زينة"، وهنا تصبح المصيبة مصيبتين، و بين ليلة وضحاها، تجد "زينة" نفسها يتيمة بلا سند تلجأ إليه، فقد كانا (الوالد والوالدة) بالنسبة إليها البيت، الأمن، الاستقرار، السعادة، الوطن... وباختفائهما أصبحت كالطير بدون أجنحة، معرضة للخطر من كل الجهات. وهنا تظهر خالة البطلة "زينة"، والتي كانت أتعس حظاً منها - ورغم هذا- حاولت من تجربتها، تخفيف مأساتها قدر المستطاع، لأنها من غير الممكن أن تعوض والديها، ومن ثمة ذهبت بها إلى عجوز، ظنا منها أنها ستكون أكثر أماناً، فقد كانت هذه العجوز تسكن في المقبرة، وهي الأخرى عاشت حياة قاسية مأساوية، وكل هذا بسبب الظلم الذي تلقته من أقرب شخص لها وهو زوجها، فقد اعتُبرت « الحية بين الأموات، لقد دفنت قبل أن تموت »².

حاولت البطلة "زينة" أن تستمر في الحياة، وتضع أساساً لذلك، لكي تستطيع أن تكمل حياتها، من خلال عودتها إلى الدراسة-فهي الأكثر سناً بين التلاميذ-، وكان هذا بصعوبة كبيرة، بسبب أطماع العديد فيها، وبعدها عملت كمدرسة لتدريس الأطفال، وهنا أحست البطلة "زينة" بنوع من الفرح بدأ يدخل قلبها، وخاصة عندما استقرت هي وخالتها في بيت متواضع، المهم تحت سقف يحميهم. وتبقى أصابع الإتهام موجهة إليها من طرف سكان البلدة، الذين لا يعرفون لها أصلاً، فالمجتمع الجزائري في تلك الفترة، لم يستطع تقبل فكرة امرأتين تعيشان بمفردهما في بيت لا أهل لهما، وبهذا تصبح البطلة وخالتها في هذه الرواية المتهمتين، كأن من لا أهل له لا يستطيع العيش ومواصلة الحياة « هنا في هذا الحي بدأت أصابع الإتهام تطعننها وهي تلوح نحوها بالإدانة كما لو لم يكن لها الحق في التواجد على هذه الأرض»³.

¹ - جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 8.

² - المرجع نفسه، ص 31.

³ - المرجع نفسه، ص 53.

وماذا تستطيع البطلة "زينة" أن تفعل، بعد أن وجدت نفسها بأنها المدانة قبل أن تأثم، فلا أحد يساعدها، ويأخذ بيدها لتحمل عبء الحياة القاسية، فأكثر شيء لا يستطيع الإنسان تحمله، هو الظلم من طرف الآخرين.

ويطراً حدث جديد داخل الرواية، يغير نوعاً ما في مسارها، بظهور جثة لطفل رضيع في المدرسة، (وبما أن زينة هي الفتاة الوحيدة التي تتوجه إليها كل التساؤلات، من دون أن يجد سكان البلدة إجابة لتلك التساؤلات)، التصقت التهمة في البطلة "زينة" (عانت هذه البطلة في حياتها من جميع الجوانب، وتوالت المصائب عليها، فمن اليتيم، إلى الشارع، إلى المجتمع الذي لا يرحم، خاصة المرأة التي لا سند لها) وأصبحت محل للشبهات، ومع ذلك تتغلب على كل مشكلة، وتحاول أن تبقى صامدة.

وتضيف الروائية حدثاً جديداً داخل الرواية، وتعتبر بالنسبة للبطلة "زينة" مصيبة، بل أكثر كارثة حلت على رأسها، تمثلت في (اعتداء عادل على زينة)، و"عادل" شخصية ثانوية ولكنها غيرت في الكثير من حياة البطلة "زينة"، وهنا أُغلقت الأبواب في وجهها، الأمل يكاد يختفي من الحياة، ومع هذا واصلت بجهد وعناء، استمرت "زينة" في مقابلة "عادل"، وكانت كل مرة تلتقي معه، كأنها دجاجة يذبها « شعرت أنها محاصرة به لدرجة الاختناق فاجتاحها شعور مبهم، وبدأت تحس أنها تسبح في وسط مغبر أجواؤه مزيج من الكراهية والتقرز... »¹.

أصبحت البطلة "زينة" حاملاً، والمجتمع الجزائري لا يرحم، وحتى التقاليد، والدين لا يسمح بكل هذا، والبلدة التي تعيش فيها، لم تكن مذنبه وأذنبتها، فكيف وهي متهمة حقاً؟ وهي بحملها كأنها تحمل أداة الجريمة، وتبقى التساؤلات تُطرح من قبلهم: من أين لها هذا؟ ومن هو والده؟ وغيرها.. وبهذا أكدت كل التهم الموجهة إليها، وكالعادة لم تجد من يكون سنداً لها، فهو المنتكر لها -عادل-، وما زاد الطين بلة وفاة خالتها، الذي أدّى إلى تحطيمها كلياً.

¹ - جميلة، زبير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص ص 84، 85.

ولكن الروائية ترفض الاستسلام لمعاناة هذه البطلة "زينة"، وتعمل على استنهاضها وبعث بريق الأمل في حياتها، وذلك بطلب الشخصية "عادل" الزواج منها « انقطاعك عن زيارتي طوال هذه المدة أشعرنى أن الفراغ الذي تركينه في نفسي لا يمكن أن تسده امرأة أخرى لذلك قررت الارتباط بك »¹.

ولكن لا بد من وجود شخصية ثانوية، تحاول تغيير مسار حياة الشخصية البطلة "زينة" وهنا تظهر شخصية "الأم الهائنة" التي حاولت كسر "زينة"، التي جاءت إلى المستشفى وشنت كل غضبها على "زينة"، فهذه الأم لا يسرها أن يتزوج ابنها، من امرأة لا أهل لها ولو كان مخطأ في حقها. وبعد ذلك ظهور شخصية "العمّة"، والتي تعتبر من بقية أهل البطلة "زينة"، عادت هذه الأخيرة إلى قرية عائلة والديها لتسكنها، أملا منها أن تجد من يحس بها من أهلها، ويكون عونًا، وسندًا لها على هذه المصائب، والهموم والاتهامات التي حملتها، دون أن ترتكب أي ذنب، ولكن دون جدوى، العمّة أبت أن تمد لها يد العون: « لن أسير وراءك لا حية ولا ميتة »².

وهذه العمّة بدل الوقوف إلى جانبها، ومساعدتها لتزويجها من "عادل"، لعل حياتها تستقر إلى الأبد، وتجد السعادة التي كانت تبحث عنها، وفقدتها لغياب أهلها عنها، فقد أوغلت في جرحها وإهانتها، وأكدت لها أن لا أحد يحبها، ودفعتها إلى التفكير « في الانتحار، فليس هناك ما يشدها إلى الحياة »³.

وعاودت الدنيا غلق أبوابها في وجه البطلة "زينة"، هذه الفتاة التي تحملت عبء الحياة في صغر سنها، وبذلك أصبحت لديها رغبة كبيرة في الانتحار، حتى بصيص الأمل الذي كان متعلقًا بزواجها من "عادل"، كانت فيه غصة، لأنه أراد أن يكون في الظلام، على عكس أن هذه العلاقة تُبنى دائمًا في النور وأمام الملاء، وعرفت أن لا خيار أمامها إلا الزواج به « تفجرت شظايا الغبن في دمه، وأحسّت أنها ظلمت نفسها حين وافقت على الارتباط به

¹ - جميلة، زبير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 102.

² - المرجع نفسه، ص 110.

³ - المرجع نفسه، ص 112.

ثم تداركت مغربة نفسها، وهي تردد في أعماقها: وهل حقاً أنا التي اخترت هذا المصير الأسود، أم هو الذي استغلّ فقري وضعفي ليغتال براءتي»¹.

وعادت "زينة" إلى مكان آلامها وانكسارها، وهو البيت الكبير الذي تحمل فيه إلا الذكريات السيئة، وهنا تظهر شخصية ثانوية، وهي "الكثة الكبرى" لتشارك في المعاناة وتلقيهما الظلمات من هاته العائلة، فقد كانت "الكثة" كخادمة ولم تحس يوماً أنها زوجة الإبن البكر، بل على العكس، لقت من الظلم الكثير الكثير، وأخبرتها عن قسوة العجوز "الهائية" وعن ضحاياها.

فمصائب "زينة" لم تنته عند هذا الحد، بل اكتملت عندما اشتعلت فيها النار، وهي تنام علي سريرها، من دون أن تدري كيف؟ ولا متى؟ بعدها أصبحت عمياء لا ترى، وبهذا وصل السيل الزئبي، فلم تعد تقدر على تحمل كل هذه المتاعب، صرخت بصوت عال « أريد أن أموت... »².

وهنا تدخلت شخصية "الشرطة" من أجل التحقيق في أسباب الحريقة، التي أصابت "زينة" دون غيرها، و"زينة" لم تستطع أن تبرئ أحد، أو تتهم أحد، فكل العائلة مدانة ومتهمة في الوقت نفسه.

والنهاية لهذه الرواية أرادت الكاتبة أن تكون قاسية نوعاً ما، وهذا بموت الشخصية البطلة "زينة" وهي المتهمة بكل الذنوب، فقد « ماتت زينة ومعها دفن لغز موتها، وقد أبت أن ترفع أصابع الإتهام في وجه أي أحد، وهي المتهمة بكل الذنوب منذ أن وطئت أقدامها هذا الوجود »³.

¹ - جميلة، زبير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 116.

² - المرجع نفسه، ص 155.

³ - المرجع نفسه، ص 160.

بعد الحياة التعيسة والملئية بالمشاكل والعوائق، والوحدة التي كانت تشعر بها، ماتت ودفنت من طرف أناس غرباء؛ لأنه « سيتولى عمال البلدية عنك هذه المهمة، فلقد دفنوا خالتها من قبل »¹.

ظنّ "عادل" أن حياته بعد (زينة) ستكون أكثر راحة واستقراراً، ولكنه وجد نفسه وحيداً نادماً وبذلك دفع "عادل" وعائلته ثمن ما فعله بهذه الفتاة المسكينة. لقد أصبح عادل الإبن كالمجنون لا يدري ما يفعل «... بينما الشاب يتحول إلى شبح نحيف، يرتعش الخوف في عينيه منكس الرأس يهيم في شوارع البلدة...»²، وبعد كل هذه الحوادث، التي وقعت داخل البيت الكبير انكسرت العجوز، وذهب كل جبروتها وقسوتها، وأصبح هذا البيت كالقصر المهجور، دون سكان، يخافه الناس، وبخافون أشباحه « يُرى وسط البلدة بناء ضخم مكلل بالصمت والغموض أشبه ما يكون بالقصر المهجور... »³.

وبهذا أخذ كلا جزاءه بما صنعه "زينة" أو غيرها من الفتيات، اللواتي عشن ظلم الحياة أو بالأحرى ظلم المجتمع، وعاداته، وتقاليده، وكل من يجد فرصة في أن يتمادى على حقوق امرأة (لم تجد حتى سقف بيت يحميها) لا يتوان في ذلك.

¹ - جميلة، زبير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 161.

² - المرجع نفسه، ص 185.

³ - المرجع نفسه، ص 186.

ثانياً: "أصابع الإتهام" دراسة تحليلية نفسية

1- تمهيد

سنتناول هذا العمل السردى "أصابع الإتهام" بالدراسة والتحليل، وفقاً لمعطيات المنهج النفسى، على اعتبار « أن أي عمل أدبي كائنا ما كان نوعه أو عصره ، إنما يمكن تناوله بالدراسة التحليلية على أسس نفسية ¹ لنتبين بعض الجوانب النفسية العميقة ونسرد دلالاتها المختلفة التي لا يمكن إدراكها إلا باعتماد هذا المنهج الذي « ينظر المشتغلون بالتحليل النفسى إليه، بوصفه علماً بالإنسان بما هو كذلك، أي بوصفه علماً يستمد أصوله من دراسة الإنسان في أخصّ أحواله ²».

وعليه سنقارب النص السردى -كذات مستقلة- من منظور التحليل النفسى، دون التقييد بنظريات "فرويد" فحسب، وسنعمد إلى مُساءلة النص، لكشف ما يُضمّره اللاوعى باعتبار أن ما وراء الشعور المعلن، لاشعور مضمّر ينطوي على آخر مغاير، ومناقض للاشعور، متتبعين الإشارات النصية، لكونها تستدعي بنية أخرى ذات دلالة مختلفة؛ تسهم في الكشف عن اللاوعى القائم في العمل السردى.

بعد القراءة المتمعنة لرواية "جميلة زنير"، والموسومة بـ "أصابع الإتهام" وجدنا أنها تكشف عن الكثير من أحوال الناس وخفاياها، محاولين بذلك اختراق جدار الغموض المحيط بهذه النفس، وقراءتها لغة وأسلوباً في التعبير.

2- الشعور بالحزن ومرارة اليتيم

الشعور بمرارة الحزن الشديد، لمواجهتها كل المشاكل، والصعوبات لوحدها، فهذه البطلة "زينة" دون سابق إنذار، عانت وشربت قسوة الحياة دون ذنب « وحدها في الدنيا بلا أهل ولا سند... وحيدة على درب الحياة الموحش... لا أحد يخرجها من الدوامة التي تغوص فيها... ³». كل هذه الوحدة التي كانت تشعر بها- زينة- سببه هو وفاة والدها « صرخت البنت بأعلى صوتها مولولة: من قتل أبي؟ ⁴».

¹ عز الدين، إسماعيل: التفسير النفسى للأدب، ط4، دار العودة، لبنان، 1981م، ص 250.

² فرج أحمد، فرج: التحليل النفسى للأدب (دراسة لمحتوى قصة "ليلي والدنّب")، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1981م، ص 26.

³ جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 8.

⁴ المرجع نفسه، ص 16.

هذا الحدث جعل البنت "زينة" عرضة للشعور بعقدة النقص، للحرمان العاطفي الأبوي من جهة، ولانعدام الأمن النفسي من جهة أخرى؛ الذي سببه غياب الأب الأبدي، وحتى غياب الأم، الذي لم تكن تدري هل ستعود أم لا؟ ولماذا تركتها لوحدها؟ وهي تدري أنها وحيدة لا سند لها « آه يا والدي العزيزين، كيف تركتmani أواجه مصيري بمفردتي وسط هذا الغاب المروع »¹.

مما عزز نزعة العدوانية اتجاه الآخرين، والانكفاء على الذات، والشعور بالاغتراب والإحباط.

3- الشعور بالعدوانية

شعور البطلة بالعدوانية أمر طبيعي بشري، و يمكن أن يكون متعددًا، فهو في هذه الرواية "أصابع الإتهام" كان اتجاه :

- 1- الشخص الذي اعتدى عليها(عادل).
- 2- وأمه التي حاولت فعل الكثير من أجل كسرهما.
- 3- والمجتمع (سكان البلدة، عادل، العمه...) الذي رفض حتى الاستماع إليها أو مساعدتها.

كل هذا جسد رمز الطبقة المترفة، والسلطة الاستبدادية، التي تعيش من أجل مصادرة أحلام هذا الفقير. كما تفرض عدم تجاوز الإطار المحدد له، وخاصة المرأة التي لا يجوز لها أن تحلم أو تحاول تحقيق أحلامها.

وتسهم الرغبة في معرفة حقيقة براءة "زينة"، في تفجير مشاعر العدوانية المطعمة بالكره والخوف، لكونها فتاة تعيش مع خالتها، التي هي الأخرى امرأة، فلا يحق لهما العيش بمفردهما « وتجتر غيظها في صمت... انطوت على جرحها، وهي تنزف في هدوء تنتستر على الصدمة في صدرها، والقلق ينهشها... »².

هذا الموقف يتقاطع مع آخر، حين تم اغتصابها، ولم يستطع أحد مساعدتها، وفعل الاغتصاب (اغتصاب البطلة "زينة" من طرف الشخصية الثانوية "عادل") جعلها تشعر أنها أمام مشكلة لا حل لها، فالواقع رفضها وهي لم تذنب، كيف الآن؟

¹ - جميلة، زينير: أصابع الإتهام(امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص70.

² - المرجع نفسه ، ص 69.

وهنا يحدث إشباع للنزعة العدوانية، لهذا الرجل الذي يعتبر جزءاً من هذا المجتمع « رمقته بعينين كسيرتين تغالب دمعها ما استطاعت: - لم فعلت بي هذا؟ لم حطمتني؟¹».

وهنا تكون لديها رغبة كبيرة في الانتقام، ورفض الواقع المسلط « سوف تدفع الثمن، ولن تنفك مراوغاتك² » وهذه المسكينة « اتقد غيض شرس في صدرها...³ ».

الرجل / الذكر... قادر على انتهاك حق الآخرين... لا أحد يحاسبه أو يتهمه.
المرأة / أنثى... لا حق لها، وإن ظلمت... المتهمة والمذنب، ولا أحد يساعدها.
ومشاعر العدوانية يلهبها الحرمان والخوف والحيرة « ماذا أفعل مع هذا الفاجر اللئيم؟ كيف أتصرف؟⁴ ».

بهذه العبارات جسدت لنا الأديبة "زنير" مشاعر بطلتها "زينة"، التي تنامت بدءاً بالغضب ومروراً بالصمت، والقلق ووصولاً إلى الشعور بضرورة العدا والكراهة.

4- الشعور بالدونية والعار

انتماء (زينة) بطلة الرواية، جعلها تشعر بعقدة الدونية، فوالدها في نظر سكان القرية مجرد خائن حركي، مات مشنوقاً في شجرة الصنوبر، وأمها التي اعتبرت هي الأخرى خائنة لزوجها، بهروبها مع عشيقها؛ فغياب الأب والأم أدى إلى انعدام السند الاجتماعي كان هذا من أهم الأسباب التي أدت "بزينة" إلى الوقوع في كل هذه العوائق « هنا في هذا الحي بدأت أصابع الإتهام تطعنها، وهي تلوح نحوها بالإدانة، كما لو لم يكن لها الحق في التواجد على هذه الأرض⁵ ». مما عمق عقدة الشعور بالعار، والذنب في باطن البطلة "زينة"، وهدهد كيانها لما نالته من أذى، هذا الأمر الذي سلبها جرأة الدفاع عن الذات المضطهدة، ولو بالسب والشتم؛ كونها فتاة صغيرة ضعيفة البنية، ولا سبيل لمواجهة هذا

¹ - جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص ص 78، 79.

² - المرجع نفسه، ص 80.

³ - المرجع نفسه، ص 81.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁵ - المرجع نفسه، ص 53.

المجتمع « عاشت الفتاة في هذه الأجواء الموبوءة أسيرة الصمت، ترى الأيام تطحن أحلامها، ولكنها لا تطلع أحدا على فواجعها »¹.

حاولت الروائية "زنير" أن توصل لنا إحساس، وشعور البطلة "زينة" بالمذلة والعار، الذي تلقته من كل ما يحيط بها، مع كل الإتهامات الموجهة إليها، بقيت صامتة تحمل آلامها في قلبها، وتنطفئ ببطء، ولا أحد يشعر بها.

5- الرّفص الأسري والاجتماعي

مع تواتر المشاكل على "زينة" باعتبار والدها كخائن، وعدم تحمله للتعذيب واعترافه على إخوته، وبعدها وفاته، ثم الأم الهاربة مع العشيق، فكل هذا يتعارض مع قوانين المجتمع، وعاداته وتقاليده، وبعدها المشاكل التي واجهت البطلة في المدينة، فهي لم يكن لها حق الاختيار، بل وجدت نفسها في مكان لا تعرف إن كان الأصح.

وهنا أصبحت "زينة" كائنا مرفوضا، أسريا واجتماعيا منذ خروجها إلى دنيا الأشقياء؛ فساكن البلدة رفضوها دون أن يعرفوها، أو حتى يقتربوا منها، وهذا الرّفص المعتاد عند مختلف الأمم الإنسانية -خاصة البدائية- التي اعتادت رفض الأنثى، والاحتفاء بالذكر لاعتبارات مادية، واجتماعية، ونفسية.

هناك مقابلة بين رفض القرية لها، ورفض المدينة لمجيئها، من أجل السكن فيها « ماذا يريد منها الناس؟ القرية رفضتها بالأمس، والمدينة تعلن عليها الحرب اليوم. حين راحت العيون الطائشة تغرس أنيابها في لحمها »².

لقد اعتبر النص مجالاً لدراسة علم النفس الأدبي، وهذا من خلال ما حققه التحليل النفسي، وخطواته في دراسة النصوص الأدبية، حتى أنه استفاد النقاد كثيرا من علم النفس في نقدهم للنصوص الأدبية. تماما كما تجلت الطبيعة النفسية، كما قال بها التحليل النفسي في رواية "أصابع الإتهام"، عبر مقاطعها، سواء من حيث المضمون، أو الأسلوب، وعبر مراحل ونقاط مهمة تم اكتشافها، وقد نطقت بها شخصيات الرواية، أو استنطقت بها (الشعور بالحزن ومرارة الفقد، الشعور بالعدوانية، الشعور بالدونية والعار

¹ - جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 53.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الرفض الأسري والاجتماعي)، ويمكن لأي باحث أن ينير جوانب نفسية مختلفة، في هذا النص، من خلال علاقاتها بما حولها وما بداخلها.

ثالثاً: البعد النفسي لشخصيات رواية "أصابع الإتهام"

1- تمهيد

يظهر الجانب النفسي للشخصية، من خلال إبراز الصراع النفسي، ويفيدنا البعد النفسي، في دراسة جوانب نفسية كثيرة، لتلك الشخصية التي اعتمدها "زبير"، ويبدو ذلك جلياً في أشكال المونولوج المختلفة للشخصية.

2- المونولوج الداخلي

تقنية من التقنيات المستخدمة في الرواية الحديثة، وينقسم إلى:

أ- المونولوج الداخلي المباشر

إن هذا النمط من الحوار يتميز بـ « غياب المؤلف وسيطرة ضمير المتكلم، مما يجعل المونولوج في هذه الحالة أشبه بالحلم »¹.
أي أن هذا النوع من المونولوج، يتميز بعدم الاهتمام بتدخل المؤلف، وعدم افتراض أن هناك سامعاً، ويجرى الحديث بضمير المتكلم، فتعبر الشخصية عن واقعها، وأحاسيسها وآلامها، مازجة الحلم بالحقيقة، واليأس بالأمل، مجسدة أعماق النفس بكل اضطراباتها وآلامها.

ومن مزايا استخدام المونولوج الداخلي؛ يترك للشخصية ذاتها لتعبر عما لديها من مشاعر، وأحاسيس، وأفكار فالمونولوج هو « أسلوب يترك الأشخاص أحرار في التعبير عما يريدون... وان يفعلوا ما يشاءون... في غياب المؤلف الذي ينبغي ألا يتدخل، لا بالتوجيه ولا بالتعليق »².

ومن أمثلة المونولوج الداخلي المباشر، في رواية "أصابع الإتهام":

بعد ما حل بالبطل "زينة"، ومع الصعوبات التي واجهتها، تركت لها الروائية فرصة التعبير عما يُختلج في نفسها « ماذا أفعل مع هذا الفاجر اللئيم؟ كيف أتصرف؟... »³

¹ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، دار الشروق، بسكرة، 2009م، ص 368.

² - إبراهيم، خليل: بنية النص السردي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010م، ص 183.

³ - جميلة، زبير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 81.

كثيرة هي التساؤلات التي تدور في ذهن البطلة "زينة"، وتبحث لها عن أجوبة دون جدوى، وبعدها تحاول أن تجد من يساعدها، ومن دفع بها إلى كل هذا « يجب أن أخبر خالتي... هي التي قد قذفت بي إلى هذه الهاوية التي لا قرار لها... »¹.

وجدت البطلة "زينة" نفسها وحيدة، ولهذا استخدمت الروائية هذا النوع من المونولوج الداخلي المباشر، وإطلاق الحرية للشخصية، للروح بما يختلج صدرها، من هواجس وأحاسيس « يا إلهي العزيز، أتوسل إليك ألا تقضني في مثل هذا الوقت من الليل وأنا الوحيدة »².

نلاحظ من خلال هذه المقاطع السردية، أن الكاتبة حاولت إثارة عواطف الشخصية إلا أن رواية "أصابع الإتهام" تجلي فيها الاتكاء على المونولوج الداخلي المباشر جزئياً؛ أي أنه غير شامل للمتن السردية، فقد لجأت إلى استعمال المونولوج الداخلي بين الفينة والفينة.

ومن خلال ذلك المونولوج، استطاعت "جميلة زنير" أن تغوص بنا إلى أعماق نفس بطلتها "زينة"، وتأخذنا بعيداً من خلال ما لمسناه من مشاعر، إلى معتقداتنا وتراثنا، حيث جعلتنا نتصور مدى شقاوة الإنسان، والمرأة الجزائرية على الخصوص بعيداً عن الدين الذي يمثل المقوم الأول لها في الأفكار والذهنيات لا في الواقع.

ب- المونولوج الداخلي غير المباشر

هو نمط من أنماط الحوار الداخلي، حيث أنه « يتسم بحضور الراوي، وتدخله بين الشخصية الروائية والقارئ »³.

إن هذا النوع يتميز باستخدام ضمائر المخاطب أو الغائب، وهذا يعني وجوب حضور الراوي، أو المؤلف بشكل دائم - كما يدعى هذا النوع كذلك بـ (الوعي الباطني) - ومن أمثلة المونولوج الداخلي غير المباشر في رواية "أصابع الإتهام":

¹ - جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 89.

² - المرجع نفسه، ص 97.

³ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 368.

« ماذا يريد منها الناس، القرية رفضتها بالأمس، والمدينة تعلن عليها الحرب اليوم... ترى، هل ستقدر على المواجهة والصمود، أم أنها ستتهار في أول الطريق؟¹ »
وما حدث للبطل "زينة" عندما وجدت خالتها في حالة يُرثى لها « انحدرت دموعها وهي تجزم بأن هذه المرأة مصرة على أن تتركها هي الأخرى، وترحل عنها، فانحنت وطوقتها بذراعيها² ».

إن هذه المقاطع السردية، توضح حجم المعاناة التي عاشتها "زينة"، وعاشتها الرواية هي الأخرى، فهي تحفر في أعماق القلب، وتمزقه دون رحمة، أو رأفة، فموت الخالة خلق فجوة كبيرة، في نفسية بطل الرواية.

فلجوء الكاتبة إلى استخدام المونولوج الداخلي، يوحى للقارئ بأنها أرادت التحرر، من قواعد السرد التقليدي، وإطلاق الحرية (لشخصية الرواية) للروح بما يختلج صدرها من هواجس، وأحاسيس بطريقة مسترسلة، كاشفة بذلك ما يموج ويجول بعقلها الباطني من هواجس وحوادث، يسوقها في شيء من الاضطراب، الذي يحاكي النفس القلقة المضطربة المتوترة، فيجعلها تقول ما لا تقول، وتجعلنا نرى فيها ما لا يرى.

3- مناجاة النفس

وهي نوع من أنواع المونولوج الداخلي، حيث يعتبر « عملية نقل ما يجري في النفس بصورة أقرب إلى الموضوعية، وتكون الشخصية هي المرسل والمتلقي في الآن نفسه، إن مناجاة النفس هي رصد لتفاعل النفس، مع حدث أو مشهد ما، حيث تقوم الذات بتقليب الحدث، من أجل اتخاذ قرار، أو موقف إزاء الحدث أو المشهد³ ».

ومثال هذا النوع من المونولوج، وقوع "زينة" بطل الرواية "أصابع الإتهام" في مأزق لم تكن تنتظره، حيث تم اتهامها من طرف سكان البلدة، ولصق التهمة أو اللقيط الذي وجد في المدرسة إليها، وبأنها هي التي وضعته، وكل هذا لأنها يتيمة لا سند لها، فأرادت أن تفرغ قلبها إلى خالتها، ولكنها بقيت مترددة:
« أخبريني بهمك لترتاحي.

¹ - جميلة، زبير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 53، 54.

² - المرجع نفسه، ص 91.

³ - مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 369.

وتتحدّاهَا:

لن أخبرها، وما الفائدة من ذلك؟

وصارعت الاتهامات في عناء، منتظرة قدوم الشرطة للتحقيق، أو الفحص الذي سوف تكون نتائجه لصالحها:

- ليت الطب أو الشرطة يتدخلان في هذه القضية فأرتاح¹.

وحاولت إخبار خالتها مرة أخرى، حين تم إغتصابها والاعتداء عليها، وحاولت اتخاذ القرار، في إخبار خالتها عن أوجاعها وهمومها، فقد اعتبرت خالتها المذنبة الأولى فيما حدث لها، ولكنها وجدت أسباباً كثيرة أدت إلى وقوعها في هذه المشاكل: « يجب أن أخبر خالتي...»

هي التي قذفت بي إلى هذه الهاوية التي لا قرار لها ... كلاً
إنها مريضة، ولن أزيد همها...

هي التي ساهمت في رسم جرحي من غير أن تدري...
كلاً إنهما أبواي...

إنّها الأقدار التي لم ترحمني².

ومناجاة النفس في رواية "أصابع الإتهام"، يعد تكتيكاً يُدخل القارئ إلى وعي الشخصية الروائية المقدمة، للوقوف على محتوى النفس، وما يدور بداخلها من صراعات وأفكار، لذلك يشعر القارئ وهو يقرأ الرواية، أنه يعيش أحداثها من أولها إلى آخرها. فرغم اعتماد الرواية كلياً على تقنية "مناجاة النفس"، إلا أنها أحياناً تعتمد على بعض التقنيات السينمائية مثل: الفلاش باك* لاسترجاع بعض المواقف، أو الأحداث القديمة حين تتذكر البطلة "زينة" حياتها في القرية، وكيف أمضت صغرها تقول: « هذه شجيرات الزيتون، تظلل جنبات الطريق حيث كنا نلعب.

- وتلك شجرة الصفصاف، التي شهد جذعها مصرع والدي

¹ - جميلة، زبير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 92.

² - المرجع نفسه، ص 91.

* الفلاش باك: هو إيراد مشاهد وقعت في الماضي، أي الرجوع إلى الماضي، حيث تقوم الشخصية بتذكر حدث ما وقع معها في الماضي، أي استرجاع الأحداث.

- وهذه أطلال كوخنا، بعد أن تهدّم وصار أكوامًا من القش والحجارة.
وهذه أشواك القندول... وهذه...¹.

و"زنير" بذكرها للأشجار، وخصوصا "شجرة الزيتون"، فكأنها تشير إلى فوائدها العظيمة لاسيما أنها ذُكرت في القرآن الكريم ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾².
وإلى جانب فوائدها المادية؛ فهي ربما حصنا نفسيا لبطلتها "زينة" التي طالما أضفت على حياتها، نوعًا من الاطمئنان، والراحة النفسية.

فالكاتبة تحاول سرد آلامها، ومعاناة المرأة الجزائرية بعد الاستقلال، عن طريق هذا المونولوج، الذي عبرت عنه بكل ألم وحيرة وحزن، فحين تجد المرأة نفسها وحيدة، وكل الظروف ضدها - من عائلة ومجتمع - والكل يتمنى موتها، فإن الحياة تصبح عسيرة ومريرة، مما دفع بها إلى البحث عن أي حل يساعدها، ولكن لا مفر من هذا الواقع الذي لا يرحم.

مما تقدم ذكره، فإن كل شخصية داخل العمل الروائي، تمتاز بحساسيتها، وهواجسها وأحاسيسها، وتخضع لمجموعة من المونولوجات الداخلية، هذه الأخيرة التي تجسد الحالات النفسية لشخصياتها، فرغم أصوات الشخصيات، وتنوعها، واختلافها، ورغم الصراع القائم بينها؛ إلا أنها تبقى تحت سلطة وهيمنة الروائية، التي تروي الأحداث وفق منطق بنية القص، وهذا ما لاحظناه في رواية "أصابع الإتهام".

¹ - جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، مرجع سابق، ص 108.

² - سورة التين - الآية 01، ص 597.

خاتمة

خاتمة:

تدعونا هذه الخاتمة إلى حصر أهم نتائج البحث التي سعي إليها، ويمكن أن نخلص بدءاً من الجانب النظري، وصولاً إلى استثماره في تحليل المدونة السردية للكاتبة "جميلة زنير" إلى مايلي:

1- يرى كثير من الباحثين أن التحليل النفسي للأدب يجلي غموضه، ويزيل التباساته بأدوات معرفية. وصحيح أنه ليس ثمة قراءة بريئة، أو قراءة مكتملة، إلا أن تحليل العمل الأدبي، يعيده إلى رحاب العلاقة القائمة بين علم النفس والأدب، وهي علاقة وطيدة تقرّها المناهج على اختلاف مشاربها.

2- لا يزال اختلاف الدارسين، والنقاد الغرب، والعرب حول تقديم مفهوم واحد للرواية قائماً إلا أنهم يتفقون على كونها بناء سردي، يأخذ من الواقع بقدر ما ينهل من الخيال.

3- أخذ مفهوم الشخصية الروائية، اهتمام الكثير من الباحثين، وكيفية تحديدها في العمل الأدبي، حيث أنهم عملوا على دراسة الشخصية، كونها القناة التي يعبر من خلالها الروائي عن الواقع المعاش، وهناك من اعتبرها مجرد كائن ورقي بسيط، تستعمل للتعبير عما يُختلج في نفسية الذات المبدعة.

4- تعد الرواية "جميلة زنير" من الأوائل الذين تطرقوا إلى الكتابة؛ أي الكتابة النسائية في الجزائر، ويمكن القول أن أعمالها الإبداعية كانت بمثابة المتنفس، فعبّرت من خلالها عن ذاتها المقهورة، أو بالأحرى ذات المرأة الجزائرية التي عانت الظلم، والقهر بعد الاستقلال وبالتالي حاولت التعبير عن كل آلامها.

5- أعطتنا الرواية "جميلة زنير" فكرة عن معاناة المرأة، وحاولت البوح عما يُختلج في نفسها، وباحت بما لا تستطيع البوح به، من خلال إسقاطها على شخصيات رواية "أصابع الإتهام" التي حملت الكثير من الألم، والعذاب النفسي للمرأة المتهمّة بكل الذنوب، والتي لا يسمح لها بالدفاع عن نفسها في أي حال من الأحوال.

6- يعتبر التحليل النفسي، من أهم الدّراسات القريبة في دراسة النصوص الأدبية، وذلك من خلال اعتبار النص مجالاً لدراسة علم النفس الأدبي. تماماً كما تجلّت الطبيعة النفسية كما قال بها التحليل النفسي في رواية "أصابع الإتهام" عبر مختلف عتباتها، وعبر مقاطعها في مستويها المضموني الدلالي والأسلوبي، وعبر مراحل ونقاط مهمة تمّ اكتشافها، وقد نطقت بها شخصيات الرواية، أو استتظقت بها.

7- تحمل رواية "أصابع الإتهام" عدة اعترافات أو حوارات، حاولت من خلالها البوح بكل ما تخفيه، وتقاسيه وتتجرّع مرارته، إزاء كل المعاملات السيئة التي تكبّدت وزر تحملها فحملتها عبر شخصياتها الخيالية، حيث بنّت فيها الحياة، وجعلتها تقارب واقعها المعاش وتحكى قصّتها لكن بقناع مختلف.

الفهارس:

1 - قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

أ- المصادر

ب- المراجع

ج- المجلات والجرائد.

2 - فهرس البحث

3 - الملخصات

أ- بالعربية

ب- بالفرنسية

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم: برواية ورش عن الإمام نافع.

أ- المصادر:

1- جميلة، زنير: أصابع الإتهام (امرأة... قلبها غيمة)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2008م.

ب- المراجع:

- 1- إبراهيم، خليل: بنية النص السردي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010م.
- 2- إبراهيم، سعدي: دراسات ومقالات في الرواية، منشورات السهل، 2009م.
- 3- إبراهيم، فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، دار التعاضدية العمالية، تونس، 1986م.
- 4- إبراهيم، مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1983.
- 5- أبو عبد الرحمن، خليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر لبنان، 2006م.
- 6- أحمد، رازك: الرواية بين النظرية والتطبيق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1995م.
- 7- أحمد، سيد محمد: الرواية الإنسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989م.
- 8- أحمد، منور: ملامح أدبية (دراسة في الرواية الجزائرية)، الساحل بدعم من وزارة الثقافة الجزائر، 2008م.
- 9- جورج، لوكاتش: الرواية، ترجمة: مرزاق بقطاش، المؤسسة للكتاب، الجزائر، 1984م.
- 10- حامد عبد السلام، زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، مصر 1977م.
- 11- حسين، القباني: فن الكتابة الروائية، دار الجيل، لبنان، 2006م.
- 12- حنا، الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (العصر الحديث)، منشورات ذوي القربى، طهران، 1992م.
- 13- خالد رشيد، القاضي: لسان العرب، ط1، دار الصبح واديسوفت، لبنان، ج5، 2006م.
- 14- راجح أحمد، عزت: أصول علم النفس، ط2، دار الكتاب، مصر، 1922م.
- 15- سيد أحمد، النساج: اتجاهات القصة المصرية الحديثة، دار المعارف، مصر، 1977م.

- 16- الشريف، حبيلة: الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م.
- 17- صبري، يوسف: سيكو الأدب (الماهية والواقع)، عن سعاد جبر سعيد، سيكولوجيا الأدب، الماهية والاتجاهات، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان، 2008م.
- 18- صلاح، فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992م.
- 19- طه، حسين: فصول في الأدب والنقد، ط4، دار المعارف، مصر.
- 20- عبد الرحمن، عدس: سيكولوجيا الأدب (الماهية والاتجاهات)، ط1، عالم الكتب الحديث، عمان، 2008م.
- 21- عبد الغني، مصطفى: الاتجاه القومي في الرواية، المجلس الوطني للثقافة والآداب الكويت، 1992م.
- 22- عبد الملك، مرتاض: في نظرية الرواية « بحث في تقنيات السرد»، عالم المعرفة مصر، 1998م.
- 23- عبد المنعم، الحنفي: الموسوعة النفسية (علم النفس والطب النفسي)، ط2، مكتبة مدبولي، لبنان، 2003م.
- 24- عبد المنعم، تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، ط2، دار العودة، لبنان.
- 25- عثمان، فراح وعبد السلام، عبد الغفار: الشخصية وعلم النفس، دار النهضة العربية مصر، 1997م.
- 26- عز الدين، إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ط4، دار العودة، لبنان، 1981م.
- 27- علاء الدين، وحيد: في القصة القصيرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1972م.
- 28- فرج أحمد، فرج: التحليل النفسي للأدب (دراسة لمحتوى قصة "ليلي والذئب")، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1981م.
- 29- فيصل، دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، ط2، المركز الثقافي العربي، لبنان 2002م.
- 30- كارل، ابراهام: التحليل النفسي والثقافة، ترجمة: وجيه أسعد، وزارة الثقافة، سوريا 1998م.
- 31- محمد خلف، الله أحمد: من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، ط2، دار الكتب مصر، 1970م.

- 32- محمد صالح، الجابري: الأدب الجزائري المعاصر (دراسة)، منشورات السهل، الجزائر 2009م.
- 33- محمد علي، سلامة: الشخصية ودورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، ط1 دار الوفاء، مصر، 2007م.
- 34- مصطفى، سويف: الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة)، ط4، دار المعارف، مصر.
- 35- مفقودة، صالح: المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، دار الشروق للطباعة، بسكرة، الجزائر 2009م.
- 36- نادر، أحمد عبد الخالق: الرواية الجديدة، بحوث ودراسات تطبيقية، ط1، العلم والإيمان للنشر، 2009م.
- 37- نهاد، التكرلي: الرواية الفرنسية الجديدة، دار الحرية للطباعة، العراق، 1985م.
- 38- يوسف، مراد: مبادئ علم النفس العام، دار المعارف، مصر، 1999م.
- 39- يوسف، ميخائيل أسعد: سيكولوجيا الإبداع في الفن والأدب، دار الكتب، مصر، 1998م.

ج- المجلات والجرائد:

- 1- جريدة الرياض: سعيد موفقي (على هامش الملتقى الوطني العربي لسرديات الكتابة العربية)، العدد 14458، دار الشروق، الجزائر، 2008م.
- 2- مجلة دنيا الوطن: فضيلة معيرش (شهرزاد الجزائر "جميلة زنير" إرث قصصي متجدد) العدد 2217، دار الكتاب، الجزائر، 2013م.
- 3- مجلة السرديات: محمد ساري (نظرية السرد الحديثة)، العدد 01، مخبر السرد العربي جامعة منتوري، قسنطينة، 2004م.
- 4- مجلة التبيين الجاحظية: يمينة عنجاك (قضايا المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر) العدد 36، منشورات السهل، الجزائر، 2011م.

فهرس الموضوعات:

فهرس الموضوعات:

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
5	مدخل: إرهابات الدراسة السيكولوجيا للأدب
5	أولاً: سيكولوجيا الأدب وعلم النفس والعلاقة بينهما
5	1- تمهيد
5	2- تعريف علم النفس
6	3- تعريف الأدب
8	4- العلاقة بين علم النفس والأدب
10	5- العلاقة بين التحليل النفسي والأدب
11	ثانياً: الدراسات السيكولوجيا
11	1- تحديد مصطلح "سيكولوجيا"
12	2- الدراسات السيكولوجيا عند العرب
12	أ- قديماً
12	ب- حديثاً
13	3- الدراسات السيكولوجيا عند الغرب
14	ثالثاً: استنتاج
17	الفصل الأول: ضبط المفاهيم
17	أولاً: تحديد مصطلح الرواية
17	1- تعريف الرواية لغة واصطلاحاً
17	أ- عند العرب لغة واصطلاحاً
19	ب- عند الغرب الدلالة الأولى لكلمة (Roman) واصطلاحاً
22	2- الرواية العربية بين النشأة والتطور
22	أ- نشأة الرواية العربية في المشرق
25	ب- نشأة الرواية الجزائرية وعوامل تطورها
25	ب1- فترة ما قبل الاستقلال
27	ب2- فترة ما بعد الاستقلال وإعادة الحرية
29	ثانياً: تحديد مصطلح الشخصية
29	1- تعريف الشخصية

29	أ- لغة
29	ب- اصطلاحا
30	2- تعريف الشخصية من وجهة علماء النفس
30	3- تعريف الشخصية الروائية
33	4- أهمية دراسة البعد النفسي للشخصية الروائية
35	ثالثا: الروائية "جميلة زنير"
35	1- حياتها
36	2- أهم إبداعاتها
37	3- آراء بعض النقاد في كتابات الروائية "جميلة زنير"
40	الفصل الثاني: دراسة نفسية لشخصيات رواية "أصابع الإتهام"
40	أولا: ملخص الرواية
46	ثانيا: "أصابع الإتهام" دراسة تحليلية نفسية
46	1- تمهيد
46	2- الشعور بالحزن ومرارة اليتيم
47	3- الشعور بالعدوانية
48	4- الشعور بالدونية والعار
49	5- الرفض الأسري والاجتماعي
50	ثالثا: البعد النفسي لشخصيات رواية "أصابع الإتهام"
50	1- تمهيد
50	2- المونولوج الداخلي
50	أ- المونولوج الداخلي المباشر
51	ب- المونولوج الداخلي غير المباشر
52	3- مناجاة النفس
56	خاتمة
59	قائمة المصادر والمراجع
63	فهرس الموضوعات
65	ملخص باللغة العربية
66	ملخص باللغة الأجنبية

ملخص:

يقوم هذا البحث على دراسة رواية "أصابع الإتهام" لـ "جميلة زنير"، وقد ارتأينا أن تكون الدراسة لشخصيات الرواية من وجهة نفسية، أو بتعبير أكثر دقة ووضوحا « سيكولوجيا الشخصية في رواية أصابع الإتهام » اقتضت طبيعة البحث ومميزاته - فعلم النفس والأدب من المفاهيم الفضفاضة- تقسيمه إلى فصلين، تقدمهما مقدمة، ومدخل، وتعتها خاتمة.

كان المدخل تمهيدا للموضوع، تناولنا فيه بعض المفاهيم، لعلم النفس، والأدب ثم عرضنا بشيء من الوضوح عن العلاقة بينهما، مروراً لأهمّ الدراسات السيكولوجيا عند الغرب وعند العرب بين القديم والحديث.

تناولنا في الفصل الأول الموسوم بـ « ضبط المفاهيم » منها: مفهوم الرواية (لغة واصطلاحاً) ونشأة الرواية العربية، والجزائرية وتطورها، ثم تحدثنا عن مفهوم الشخصية والشخصية الروائية، وأهميتها في العمل الروائي، وكيف تتمكن الدراسة النفسية للعمل الإبداعي، من كشف أغوار النفس المبدعة، وصولاً إلى التعريف بـ "جميلة زنير" وألحقناها بدراسة تطبيقية لشخصيات الرواية، وسمناها بالدراسة النفسية لشخصيات رواية "أصابع الإتهام" لـ "جميلة زنير" عالجتنا فيه الحالة النفسية، والشعورية لشخصيات الرواية، وختمنا الدراسة باستخراج أهم المونولوجات الموجودة، منها المباشرة وغير المباشرة، وصولاً إلى مناجاة النفس، وكل هذا انطلاقاً من رواية "أصابع الإتهام"، وفي النهاية خرجنا ببعض الاستنتاجات، جمعناها في خاتمة البحث.

RÉSUMÉ :

Cette recherche est basée sur l'étude du roman « les doigts d'accusation » de son auteur Djamila ZENIR , l'étude est consacrée aux personnages d'une façon psychologique et à partir de la nature de recherche et ses caractéristiques prendre en compte les larges concepts de la psychologie et de littérature, on l'a divisé en introduction , deux chapitres et conclusion.

L'entrés était une introduction de thème, expliquant quelques concepts de psychologie et de littérature et mentionné à la fois la relation entre eux passant par les études les plus importantes Chez les Arabes et les occidentaux a travers le temps ancien et moderne.

Le premier chapitre est intitulé sous « réglages des concepts » y compris le concept du roman (linguistique et idiomatique), l'apparence du roman Arabe et Algérien et son développement puis nous avons parlé du concept de personnalité et celle de personnalité dans le roman et leur importance dans le travail. L'étude psychologique de n'importe quel travail créatif peut découvrir les secrets du personne créative et jusqu'à donner une biographie de Djamila ZENIR suivi par une étude appliqué sur les personnages du roman « les doigts d'accusation » et une autre psychologique.

En conclusion, nous avons extrait les monologues les plus importants, directes et indirectes arrivant au soliloque et obtenu quelques conclusions pour mettre fin de la présente recherche.